بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل العلم النافع طريقًا موصلًا لرضاه، وصراطًا يتبعه من أراد هداه، ويحيد عنه من ضل واتبع هواه، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾[القصص:٥٠]، ونشهد أن لا إله إلا الله رفع شأن العلم وأهله حتى وصلوا من المجد منتهاه، ومن العز أعلى ذراه، فمن سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا؛ سهل الله له به طريقًا إلى جنته وعلاه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الهداة التقاة، ومن سار على نهجه إلى يوم لقاه.

أما بعد:

فهذا هو **الكتاب الثاني**(١) من المنهجية العلمية التأصيلية للتميز التي نرجو أن تعين طالب العلم، وتأخذ بيده إلى طريق واضح نَيِّر لينشد غايته من العلم الشرعي الصحيح على ضوء الكتاب والسنة بخطوات ثابتة مدروسة.

ومنهجية التميز تُرَكِّزُ على جوانب غاية في الأهمية في مسيرة طالب العلم نحو هدفه، ومن تلك الجوانب:

- اختيار أبرز وأهم المتون العلمية وشرحها شرحًا مناسبًا يقرب العلم ويسهل إتقانه.
- توفير كتب الشروح مع وضع خطة للمراجعة المستمرة لكافة الشروحات بشكل دوري.

---

(١) أصل هذا الكتاب دروس في شرح الحائية ألقاها الشيخ/ د. عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل بجامع العودة ببريدة عام ١٤٢٩هـ، فقام الطلاب بتفريغها؛ فلما رأى الشيخ حرص الطلاب عليها قام بأخذ هذا المكتوب وتهذيبه والزيادة عليه، ثم خرج بهذا الشكل.

- رعاية طالب العلم مع متابعته في مسيرته من خلال سجل خاص بكل طالب علم.
- المتابعة والتواصل مع الطلاب عن طريق رسائل الجوال.
- وضع البرامج والخطط العلمية الإضافية لمن يجد لديه همةً وطموحًا وسعةً من الوقت.
- طرح برامج علمية تتمثل في:
  - برنامج حفظ المتون أو الصحيحين.
  - برنامج المناقشة العلمية لشروح المنهجية.
  - برنامج القراءة الحرة والاطلاع على كتب الأئمة المحققين، كابن تيمية وابن القيم وغيرهما.

وهذه البرامج الثلاثة اختيارية، ويراعى فيها المستوى العلمي ووفرة الوقت لدى طالب العلم.

- الاهتمام بالجوانب الإيمانية والسلوكية والخُلُقِيَّة من خلال الدروس واللقاءات العلمية.
- إعانة طالب العلم وتذليل العقبات أمامه من خلال الجلسات العامة والفردية؛ لمعالجة عوائق الطلب، وأدواء الطريق، كالاضطراب في المنهج والتشتت في التلقي مع تقديم المناهج العلمية المُعِينَة على التحصيل في كافة مسارات العلم.
- لطالب العلم الراغب في الالتحاق بالمنهجية إمكانية اللحاق واستدراك ما فاته وذلك بالتواصل مع اللجنة العلمية من خلال الجوال الخاص بالمنهجية، أو التواصل المباشر مع د. عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل،

ويفضل الحضور لأجل المتابعة بشكل دوري ثابت حسب ظروف المشارك، ويمكن لطالب العلم الذي لا يتمكن من الحضور - سواء في منطقة القصيم أو خارجها أو خارج المملكة - الالتحاق بالمنهجية وذلك بتوفير شروح المنهجية له، ومتابعته في قراءتها وإتقانها من خلال التواصل عن طريق جوال المنهجية أو موقع مركز النخب العلمية على الشبكة العالمية.

أمدنا الله وإياكم بالعلم النافع، ووهبنا من لدنه رحمة وفضلًا.

قسم المطبوعات بمركز النخب العلمية

جوال: ٠٥٠١٥٣٦٠٦٢

جوال المنهجية: ٠٥٣٠١٢٣١٢٧

بريد : al.agal@hotmail.com

al_khaleefa@hotmail.com

نظم الحائية

١- تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَى وَلاَ تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

٢- وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

٣- وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَلِيكِنَا بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وأَفْصَحُوا

٤- وَلا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

٥- وَلاَ تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

٦- وَقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْرُ لاَ يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

٧- وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ

٨- وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيْثٌ مُصَرِّحُ

٩- رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

١٠- وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

١١- وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِلَا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدَّحُ

١٢- إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

١٣- يَقُولُ أَلا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ

١٤- رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وقُبِّحُوا

١٥- وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قِدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الأَرْجَحُ

١٦- وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الخَيْرِ بِالخَيْرِ مُنْجِحُ

١٧- وإِنَّهُـــمْ للـــرَّهْطُ لا رَيْـــبَ فِـــيهِمُ عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ بـالنُّورِ تَسْـرَحُ

١٨- سَـعِيدٌ وَسَـعْدٌ وَابْـنُ عَـوْفٍ وَطَلْحَـةٌ وَعَـامِرُ فِهْـرٍ وَالـزُّبَيْرُ الـمُمَدَّحُ

١٩- وَقُـلْ خَـيْرَ قَـوْلٍ فِي الصَّـحَابَةِ كُلِّهِـمْ ولا تَـكُ طَعَّانًـا تَعِيْـبُ وَتَجْـرَحُ

٢٠- فَقَـدْ نَطَـقَ الْـوَحْيُ المبِـينُ بِفَضْـلِهِمْ وَفِي الْفَـتْحِ آيٌ للصَّـحَابَةِ تَمْـدَحُ

٢١- وَبِالْقَـدَرِ المقْـدُورِ أَيْقِـنْ فَإِنَّـهُ دِعَامَـةُ عِقْـدِ الـدِّينِ، والـدِّينُ أَفْـيَحُ

٢٢- ولا تُنْكِـرَنْ جَهْـلًا نَكِـيرًا وَمُنْكَـرًا ولا الحَـوْضَ وَالْمِيـزَانَ إِنَّـكَ تُنْصَـحُ

٢٣- وقُـلْ: يُخْـرِجُ الله الْعَظِـيمُ بِفَضْـلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَـادًا مِـنَ الفَحْـمِ تُطْـرَحُ

٢٤- عَـلى النَّهْـرِ فِي الفِـرْدَوْسِ تَحْيَـا بِمَائِـهِ كَحِـبِّ حَمِيـلِ السَّـيْلِ إِذْ جَـاءَ يَطْفَـحُ

٢٥- وإِنَّ رَسُـولَ الله للخَلْـقِ شَـافِعٌ وقُـلْ فِي عَـذابِ القَـبْرِ حَـقٌّ مُوَضَّـحُ

٢٦- ولاَ تُكْفِـرنْ أَهـلَ الصَّـلاةِ وإِنْ عَصَـوْا فَكُلُّهُـمُ يَعْصِـي وذُو العَـرْشِ يَصْـفَحُ

٢٧- ولَا تَعْتَقِـدْ رَأْيَ الخَـوَارِجِ إِنَّـهُ مَقَـالٌ لَمَـنْ يَهْـوَاهُ يُـرْدِي ويَفْضَـحُ

٢٨- ولا تَـكُ مُرْجِيًّـا لَعُوبًـا بِدِينِـهِ ألاَ إِنَّـمَا الْمُرْجِـيُّ بِالـدِّينِ يَمْـزَحُ

٢٩- وَقُـلْ: إِنَّـمَا الإِيـمَانُ: قَـوْلٌ وَنِيَّـةٌ وَفِعْـلٌ عَـلَى قَـوْلِ النَّبِـيِّ مُصَـرَّحُ

٣٠- وَيَـنْقُصُ طَـوْرًا بِالمعَـاصِي وتَـارَةً بِطَاعَتِـهِ يَنْمِـى وَفِي الْـوَزْنِ يَـرْجَحُ

٣١- وَدَعْ عَنْـكَ آرَاءَ الرِّجَـالِ وَقَوْلَـهُمْ فَقَـوْلُ رَسُـولِ الله أَزْكَـى وَأَشْرَحُ

٣٢- وَلاَ تَـكُ مِـنْ قَـوْمٍ تَلَهَّـوْا بِـدِينِهِمْ فَـتَطْعَنَ فِي أَهْـلِ الحَـدِيْثِ وَتَقْـدَحُ

٣٣- إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الـدَّهْرَ يَـا صَـاحِ هَـذِهِ فأَنْـتَ عَـلَى خَـيْرٍ تَبِيـتُ وتُصْـبِحُ

ترجمة موجزة للناظم

اسمه ونسبه:

هو: عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق، أبو بكر الأزدي السجستاني، المعروف بـ (ابن أبي داود)، وأبو داود: هو صاحب السنن.

مولده ونشأته:

وُلِدَ ابن أبي داود بسجستان سنة (٢٣٠هـ)، في بيت علم ودين، وقد اعتنى به والده عناية خاصة منذ الصغر فطاف به الأرض شرقًا وغربًا؛ ولهذا سمع عن جم غفير من أهل العلم، وبلغ ﷺ شأوًا كبيرًا في العلم، وكان صاحب همة عالية من الصغر، ومن علامات هذه الهمة قوله عن نفسه: «دخلت الكوفة ومعي درهم واحد فاشتريت به ثلاثين مُدَّ بَاقِلَّاء، قال: فكنت آكل منه مدًا وأكتب عن أبي سعيد الأشج فكتبت عنه ألف حديث يعني في يوم واحد فلما كان الشهر حصل معي ثلاثون ألف حديث ما بين منقطع ومرسل»[(١)].

شيوخه:

تتلمذ على يدي عدد من أهل العلم المشاهير منهم: والده سليمان ابن الأشعث، وإسحاق الكوسج، ومحمد بن يحيى الذهلي شيخ البخاري، ومحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ صاعقة، ومحمد بن بشار بندار، وغيرهم.

تلاميذه:

تلاميذه كُثُر ومن أشهرهم: أبو أحمد الحاكم، وابن حبان صاحب الصحيح، وعمر بن شاهين، وأبو الحسن الدارقطني، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وأبو عبد الله بن بطة، وعيسى بن علي الوزير، وغيرهم.

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد (١١/ ١٣٦)، وطبقات الحنابلة (٢/ ٥٢).

۞ عقيدته ومذهبه:

كان الناظم ابن أبي داود ﷺ على عقيدة أهل السنة والجماعة، ولا أدل على ذلك من نظمه الذي بين أيدينا، الذي أوضح فيه عقيدة السلف الصالح، وقد جاء عنه في بعض نسخ هذه المنظومة أنه قال في نهايتها: «هذا قولي، وقول أبي، وقول أحمد بن حنبل ﷺ، وقول من أدركنا من أهل العلم، وقول من لم ندرك من أهل العلم ممن بلغنا قوله، فمن قال عليَّ غير ذلك فقد كذب»(١).

ومما يؤكد سلامة عقيدته شهادة كثير من العلماء له بذلك كالآجري، وابن أبي يعلى، وابن القيم، والذهبي، وغيرهم.

وقد اتُّهِم ﷺ بالنصب - أي: نصب العداء لآل النبي ﷺ - ولكن هذه التهمة عرية من الصحة، بل الثابت عنه ﷺ خلاف ذلك، حيث نجده يثني على أهل بيت النبي ﷺ ويذكر فضائلهم ومآثرهم.

وقد برأ نفسه من هذه التهمة في حياته ولم يجعل من رماه في حِل، حيث قال: «كل مَنْ بيني وبينه شيء، أو ذكرني بشيء فهو في حل، إلا من رماني ببغض علي بن أبي طالب»(٢).

وجاء في هذه المنظومة ما يشهد على براءتِه من هذه التهمة، حيث قال في البيت السادس عشر:

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيْفُ الخَيْرِ بِالخَيْرِ مُنْجِحُ

وأما مذهب ابن أبي داود الفقهي فهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل؛ ولذلك ترجم له الحنابلة في طبقاتهم، كابن أبي يعلى، وابن مفلح، وغيرهما.

---

(١) ينظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٥٤).

(٢) ينظر: تاريخ بغداد (١١/ ١٣٦).

۞ مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

تُعْرَف مكانة الشخص العلمية بشيوخه ومؤلفاته، فالناظم ﷺ تتلمذ على أكابر العلماء في وقته، وقد سبق ذكر بعضهم.

وقد تبوّأ ﷺ مكانة علمية في حياته، فكان فقيهًا عالمًا حافظًا، متمكنًا في علوم القرآن، مع مشاركة في مختلف علوم الشريعة.

قال أبو محمد الخلال: «كان ابن أبي داود إمام العراق، وعلم العلم في الأمصار، نصب له السلطان المنبر فحَدَّث عليه لفضله ومعرفته ... وكان في وقته بالعراق مشايخ أسند منه، ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ هو»[(١)].

وقال الخطيب البغدادي: «وكان فهمًا عالمًا حافظًا»[(٢)].

وقال الذهبي: «كان من بحور العلم بحيث أن بعضهم فضله على أبيه»[(٣)].

۞ مؤلفاته:

صنَّف ﷺ جملة من الكتب منها: المصاحف، والقراءات، ونظم القرآن، وفضائل القرآن، والناسخ والمنسوخ، وشريعة التفسير، والمصابيح في الحديث، والبعث والنشور، وغيرها.

۞ وفاته:

توفي ابن أبي داود ﷺ ببغداد في شهر ذي الحجة سنة (٣١٦ هـ) عن سبعة وثمانين عامًا[(٤)].

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد (١١/ ١٣٦)، وطبقات الحنابلة (٢/ ٥٢).

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ١٣٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٣٦).

(٤) ينظر في ترجمته: طبقات المحدثين لأبي الشيخ (٣/ ٥٣٣)، وتاريخ نيسابور ص (٤٨)، وتاريخ أصبهان (٢/ ٢٧)، والإرشاد في معرفة علماء الحديث (٢/ ٦١٠)، وتاريخ بغداد (١١/ ١٣٦)، وطبقات الحنابلة (٢/ ٥١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٢١).

نبذة مختصرة عن المنظومة

۞ إثبات نسبة الحائية للناظم:

ثبتت نسبة الحائية لابن أبي داود بالتواتر، كما ذكر ذلك الإمام الذهبي في كتاب العلو[(١)]، حيث قال: «هذه القصيدة متواترة عن ناظمها».

وقد رواها عنه عدد من تلاميذه: كالآجري، وابن بطة، وابن شاهين[(٢)]، ونسبها إليه بعض من ترجموا له، كابن أبي يعلى، والذهبي[(٣)]، وغيرهم من أهل العلم.

۞ أسماؤها:

أُطلق عليها عدد من الأسماء منها: المنظومة الحائية، وحائية ابن أبي داود؛ لانتهاء قافيتها بحرف الحاء، ومنظومة ابن أبي داود، والقصيدة الحائية، وقصيدة ابن أبي داود.

۞ عدد أبياتها:

عدد أبيات المنظومة الحائية (٣٣) بيتًا، وهو الثابت في أكثر النُّسَخ، ورواها بهذا العدد جماعة منهم: ابن شاهين، والآجري، وغيرهما، وهو الذي اعْتُمِدَ في هذا الشرح، ومشى عليه أيضًا الشيخ عبد الرزاق ابن عبد المحسن العباد في شرحه للمنظومة.

وقد جاء عددها في رواية (٣٦) بيتًا، وعليه مشى العلامة السَّفَّاريني في شرحه للمنظومة وذكر أن ابن البناء الحنبلي زاد عليها ثلاثة أبيات.

---

(١) ص (٢١٢).

(٢) ينظر: الشريعة للآجري (٥/ ٢٥٦٣)، والعلو للذهبي ص (٢١٢).

(٣) ينظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٥٣)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٣٣).

وجاء عددها في رواية أخرى (٤٠) بيتًا والزيادة فيها من بعض النُّسَّاخ كما في شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين[١]، وعلى هذا العدد مشى الشيخ عبد الرحمن البراك، والشيخ صالح الفوزان في شرحيهما للمنظومة.

۞ شروحها:

كانت المنظومة الحائية محل عناية عند العلماء وطلبة العلم منذ تأليفها إلى يومنا هذا، وتتمثل هذه العناية في الشروح الكثيرة التي حظيت بها من العلماء المتقدمين والمتأخرين، ومن هذه الشروح:

١- (**شرح الآجري**): لمحمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ (ت:٣٦٠هـ)[٢]، وهذا الشرح لم يصل إلينا.

٢- (**شرح قصيدة ابن أبي داود في السنة**): للشيخ الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء البغدادي الحنبلي (ت:٤٧١هـ)[٣].

٣- (**لوائح الأنوار ولواقح الأفكار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية**): للإمام محمد بن أحمد بن سالم أبي عبد الله السَّفَّاريني (ت:١١٨٨هـ).

٤- (**شرح المنظومة الحائية في عقيدة أهل السنة والجماعة**): للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

٥- (**توضيح المقصود في نظم ابن أبي داود**): للشيخ عبد الرحمن ابن ناصر البراك.

---

(١) ص (٣٢١-٣٢٣).

(٢) ذكره الذهبي في العلو ص (٢١٢).

(٣) ذكره ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ٥٣).

٦- (**التحفة السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية**): للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر.

ولها شروح أخرى كثيرة بعضها مطبوع، وبعضها غير مطبوع، وبعضها مسموع في دروس صوتية لعدد من العلماء المعاصرين.

۞ قيمتها العلمية ومكانتها عند العلماء:

للمنظومة الحائية قيمة كبيرة، ومكانة عالية ومنزلة رفيعة عند العلماء وطلبة العلم، وتتجلى هذه القيمة والمكانة فيما يلي:

أولًا: تُعتبر المنظومة الحائية من أهم وأُولى المنظومات التي بيَّنت عقيدة أهل السنة والجماعة وانتصرت لمذهبهم.

ثانيًا: تلقاها العلماء وطلبة العلم بالقبول سلفًا وخلفًا، واهتموا بها حفظًا وشرحًا وتدريسًا.

ثالثًا: وضوح معانيها وعذوبة ألفاظها، وتماسك أبياتها، وسهولة حفظها.

رابعًا: مكانة الناظم، وعلو منزلته، وسلامة منهجه وعقيدته، وإمامة والده الذي استفاد منه العقيدة الصافية والهمة العالية.

خامسًا: كثرة الاستشهاد بها في كتب العقائد قديمًا وحديثًا، مما يدل على أهميتها وعلو شأنها.

○○○

قال ابن أبي داود رحمه الله:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَى .....

○**قوله:** «**تَمَسَّكْ**» التمسك هو الأخذ بالشيء بقوة، وإنما عبر بهذا التعبير أخذًا بالسنة فيما رواه الإمام أبو داود والترمذي وأحمد من حديث العرباض ابن سارية أن النبي ﷺ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»(١)، والشاهد هنا قوله: «**تَمَسَّكُوا بِهَا**».

○**قوله:** «**بِحَبْلِ اللهِ**»: مأخوذ من القرآن في قول تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣].

ونستفيد من كون الناظم عبر بهذين اللفظين: أن الأوْلى بطالب العلم أن يلتزم في حديثه - لا سيما في باب العقيدة - بألفاظ الكتاب والسنة؛ لأن هذا أسلم له من الوقوع في الغلط، وأفضل في اتباع المأثور من نصوص الوحيين.

❑ **ما المراد بحبل الله؟**

الجواب: اختلف فيه، فقيل: المراد القرآن؛ لما جاء عند الإمام الترمذي مرفوعًا في حديث طويل اشتمل على الحث على الأخذ بالقرآن، وذكر فضائله ومنزلته، من حديث الحارث الأعور، قال: «**دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَإِذَا أُنَاسٌ يَخُوضُونَ فِي أَحَادِيثَ، فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ فَقُلْتُ: أَلَا تَرَى أَنَّ أُنَاسًا يَخُوضُونَ فِي الْأَحَادِيثِ فِي المَسْجِدِ؟ فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: سَتَكُونُ فِتَنٌ، قُلْتُ: وَمَا المَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ،**

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٠٠) رقم (٤٦٠٧)، والترمذي (٤/ ٣٤١) رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه (١/ ١٥) رقم (٤٢)، وإسناده صحيح.

.....

فَهُوَ حَبْلُ الله المتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ»(١).

والمقصود أن المراد بحبل الله هو القرآن، وقيل: إن المراد بحبل الله الوحي، والوحي يشمل القرآن والسنة، فالسنة وحي كالقرآن، وهي منزلة كالقرآن، أما كون السنة وحي؛ فلقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣،٤]، أما كونها منزلة فلقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء:١١٣]، فالكتاب هنا هو القرآن، والحكمة السنة.

وبهذا يتبين لنا أن المراد بحبل الله: الوحي سواءً كان قرآنًا أو سنةً، وهذا هو الراجح.

○**قوله:** «**وَاتَّبِعِ الْهُدَى**» أي: الزم طريق السنة التي بعث بها النبي ﷺ، فهي طريق النجاة، وسلّم الفلاح.

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ١٧٢ رقم (٢٩٠٦)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٢٥) رقم (٣٠٠٠٧)، والدارمي (٢/ ٥٢٧) رقم (٣٣٣٢). وقال أبو عيسى: «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال». فالحديث ضعيف، ومعناه صحيح، فما جاء فيه من ذكر أوصاف القرآن فهو حق.

.....

يقول ابن القيم رحمه الله في نونيته:

يَا مَنْ يُرِيد نجاتـه يَـوْمَ الحسـاب ... مــن الجحــيم وموقــد النــيران

اتبع رسـول الله في الأقـوال والــ ... أعــمال لا تخــرج عــن القــرآن

وخـذ الصـحيحين اللـذين همـا ... لعقد الـدين والإيـمان واسـطتان

واقرأهما بعد التجـرد مـن هـوى ... وتعصـــب وحَمِيَّـــة الشـــيطان

واجعلهما حكـمًا ولا تحكـم عـلى ... مــا فـيهما أصــلًا بقــول فــلان

والمقصود أنَّ الناظم استفتح هـذه المنظومـة بالوصـية بالأخـذ بـالقرآن واتباع السنة وقد فعل ذلك لأمرين:

الأمر الأول: أن هذه هي طريقـة القـرآن الوصـية بالأخـذ بـالقرآن والسـنة كقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[النور:٥٤]، وقوله تعـالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمـــران:٣١] وقوله تعـالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[النساء:٥٩]، وقولـه تعـالى في سـورة الأنفـال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾[الأنفـال:٢٤]، وغيرها في القرآن كثير.

الأمر الثاني: بيان أن القرآن لا يكفي عن السنة، فهما متلازمان لا يمكن استقلال أحدهما عن الآخر.

.....

فهل يمكن لأحد أن يقوم بالعبادات ويعرف تفاصيلها باتباع القرآن دون السنة؟

الجواب: لا يمكن؛ لأن القرآن أمر باتباع السنة، ولا يمكن لأحد أن يدخل الجنة إلا باتباع القرآن والسنة، ولهذا ضَلَّت طائفة معاصرة في هذا الباب، حيث اكتفت بالقرآن دون السنة، يُسمون أنفسهم بـ(القرآنيين) ويَدَّعون العمل بالقرآن، وهم أبعد الناس عنه، وهذه الطائفة موجودة الآن ومنتشرة في بعض الدول.

○**قوله**: «**وَاتَّبِعِ الْـهُدَى**» أي: هدى الحق، والهداية في نصوص القرآن والسنة تأتي على عدة أنواع، ذكرها ابن القيم، فقال ﷺ: «اعلم أن أنواع الهداية أربعة:

أحدها: الهداية العامة المشتركة بين الخلق: المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠]، أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به، ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال، وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، وهداية الجماد المسخر لما خلق له، فله هداية تليق به، كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به وإن اختلفت أنواعها وصورها، وكذلك كل عضو له هداية تليق به، فهدى الرِّجْلين للمشي، واليدين للبطش والعمل، واللسان للكلام، والأذن للاستماع، والعين لكشف المرئيات، وكل عضو لما خلق له.

وهدى الزوجين من كل حيوان إلى الازدواج والتناسل وتربية الولد، وهدى الولد إلى التقام الثدي عند وضعه وطلبه، ومراتب هدايته سبحانه لا يحصيها إلا هو، فتبارك الله رب العالمين.

.....

وهدى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتًا، ومن الشجر ومن الأبنية ثم تسلك سبل ربها مذللة لها لا تستعصي عليها، ثم تأوي إلى بيوتها، وهداها إلى طاعة يعسوبها واتباعه والائتمام به أين توجه بها، ثم هداها إلى بناء البيوت العجيبة الصنعة المحكمة البناء.

ومن تأمل بعض هدايته المبثوثة في العالم شهد له بأنه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم، وانتقل من معرفة هذه الهداية إلى إثبات النبوة بأيسر نظر، وأول وهلة، وأحسن طريق، وأخصرها وأبعدها من كل شبهة، فإنه لم يهمل هذه الحيوانات سدى ولم يتركها معطلة بل هداها إلى هذه الهداية التي تعجز عقول العقلاء عنها، كيف يليق به أن يترك النوع الإنساني الذي هو خلاصة الوجود الذي كرمه وفضله على كثير من خلقه مهملًا وسدىً معطلًا لا يهديه إلى أقصى كمالاته وأفضل غاياته، بل يتركه معطلًا لا يأمره ولا ينهاه ولا يثيبه ولا يعاقبه، وهل هذا إلا مناف لحكمته ونسبته له مما لا يليق بجلاله.

ولهذا أنكر ذلك على من زعمه ونزه نفسه عنه، وبين أنه يستحيل نسبة ذلك إليه، وأنه يتعالى عنه فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٥، ١١٦]، فنزه نفسه عن هذا الحسبان، فدل على أنه مستقر بطلانه في الفطر السليمة والعقول المستقيمة، وهذا أحد ما يدل على إثبات المعاد بالعقل، وأنه مما تظاهر عليه العقل والشرع وكما هو أصح الطريقين في ذلك.

.....

ومن فهم هذا فهم سر اقتران قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨] بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٣٧]، وكيف جاء ذلك في معرض جوابهم عن هذا السؤال والإشارة به إلى إثبات النبوة، وأن من لم يهمل أمر كل دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه بل جعلها أممًا وهداها إلى غاياتها ومصالحها، كيف لا يهديكم إلى كمالكم ومصالحكم، فهذه أحد أنواع الهداية وأعمها.

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام، فإنها سبب وشرط لا موجب؛ ولهذا ينتفي الهدى معها، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧]، أي: بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا، ومنها قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام: وهي الهداية المستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر:٨].

وفي قوله: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل:٣٧]، وفي قول النبي ﷺ: «**مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ**»(١)، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦].

فنفى عنه هذه الهداية، وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٣) رقم (٨٦٧)، من حديث جابر ﷺ.

النوع الرابع: غاية هذه الهداية: وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[يونس:٩]، وقال أهل الجنة فيها: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[الأعراف:٤٣]، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٢، ٢٣]»[(١)].

ثم قال الناظم بعد ذلك:

○ «**وَلاَ تَكُ بِدْعِيًّا**» هذه التسمية (بدعيًا) نسبة إلى البدعة، وثمة مسائل تتعلق بالبدع، من أهمها:

❑ المسألة الأولى: في حقيقة البدعة:

البدعة: ما أحدث في دين الله مما ليس له مستند من كتاب ولا سنة.

وقد اختلفت عبارات أهل العلم في تحديد ماهية البدعة وحقيقتها، ومن أشهر مَنْ تكلم في ذلك الإمام الشاطبي في كتاب الاعتصام حيث قال: «عبارة عن: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه»[(٢)].

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٤٤٥-٤٤٨).

(٢) الاعتصام (١/ ٥٠).

.....

فهذا التعريف للإمام الشاطبي رحمه الله من أشهر وأحسن التعاريف الواردة في البدعة، وقد قيدها بثلاثة قيود:

أولًا: أنها طريقة في الدين مخترعة: كابتداع صلوات أو ابتداع أدعية وغيرها من العبادات، وخرج بقوله: «طريقة في الدين» ما كانت طريقة في الدنيا كالصناعات الحديثة ونحو ذلك، فهذه ليست بداخلة في هذا الباب.

وقوله: «مخترعة» أي ليس لها أصل في الشريعة الإسلامية كإحداث الموالد والحوليات ونحوها، وخرج بذلك ما كان له أصل في الشرع كجمع القرآن، وتدوين السنة، وإنشاء بعض العلوم كعلمي الحديث والأصول، ونحو ذلك، فهذه لها أصل في الشرع، وأقل ما يقال فيها: أنها من باب المصالح المرسلة، فخرجت عن كونها بدعًا.

ثانيًا: أنها تضاهي الشرعية: أي تماثل الشرع وتحاكيه، فإذا لم تكن تضاهي الشرع فلا تعد بدعة.

ثالثًا: يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله: فلو لم يقصد بها صانعها التعبد فلا تعتبر بدعة كالضرائب والمكوس ونحو ذلك، فهذه ليست بدعة، وإن كانت محرمة لما فيها من أكل أموال الناس بالباطل.

فيتقرر مما سبق أن البدعة لا أصل لها في الشرع، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد قررنا في قاعدة السنة والبدعة أن البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٧).

.....

وقال بعد ذلك: «ولهذا قال أئمة الإسلام كسفيان الثوري وغيره: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يتاب منها، والمعصية يتاب منها ومعنى قولهم: إن البدعة لا يتاب منها، أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنًا فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًا»[(١)].

❑ **وهناك قواعد نافعة في باب البدع، من أهمها ما يلي:**

القاعدة الأولى: إذا ترك النبي ﷺ فعل عبادة من العبادات مع كون سببها قائمًا في عهده ﷺ فهي بدعة، مثل: التلفظ بالنية عند الدخول في الصلاة.

القاعدة الثانية: كل عبادة من العبادات ترك فعلها السلف من الصحابة فمن بعدهم، فإنها تكون بدعة إذا كان المقتضي لها قائمًا في عهدهم، مثل: بدعة الاحتفال بالمولد النبوي.

القاعدة الثالثة: كل تقرب إلى الله بفعل شيء من العبادات من وجه لم يعتبره الشارع فهو بدعة، مثل: اتخاذ لبس الصوف عبادة وقربة إلى الله.

القاعدة الرابعة: كل تقرب إلى الله بفعل ما نهى عنه سبحانه فهو بدعة، كالتقرب إلى الله بالرقص والسماع المحرم.

القاعدة الخامسة: كل عبادة وردت في الشرع على صفة مقيدة فتغيير هذه الصفة بدعة، مثل: تقديم الأضحية في أول ذي الحجة، والاعتكاف في غير المساجد.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٩).

.....

القاعدة السادسة: الغلو في العبادة بالزيادة فيها على القدر المشروع والتنطع في الدين بدعة، كالتقرب إلى الله بترك النوم، أو باعتزال النساء وترك الزواج.

القاعدة السابعة: مشابهة الكافرين فيما كان من خصائصهم من عبادة أو عادة فهو بدعة، كموافقتهم في أعيادهم.

القاعدة الثامنة: كل عبادة تستند إلى حديث ضعيف أو موضوع، فهي بدعة، كصلاة الرغائب، وتلقين الميت، وقيام ليلة النصف من شعبان، ونحوها[١].

❑ المسألة الثانية: هل يصح تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة؟

قال بهذا بعض أهل العلم، لكن أهل التحقيق منهم قالوا: لا يصح تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة بل البدع كلها سيئة، واستدلوا بقوله ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[٢].

لكن ما الجواب عن قول عمر في صحيح البخاري، حينما خرج إلى الصحابة وهم يصلون التراويح فقال: «**نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ**»[٣].

الجواب: ليس المراد بذلك المعنى الشرعي، بل المراد المعنى اللغوي.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: «وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنما ذلك من البدع اللغوية لا الشرعية»[٤]، ثم ذكر قول عمر: «**نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ**».

---

(١) ينظر: في هذا الموضوع "قواعد في البدع" للدكتور محمد الجيزاني.

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٢) رقم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٧٠٧) رقم (١٩٠٦)، ومالك في الموطأ (١/ ١١٤) رقم (٢٥٠).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٨).

.....

فعلى هذا لا يصح تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة، ويكون الصحيح أن البدع كلها مذمومة.

❑ أقسام البدعة باعتبار حكمها:

تنقسم البدعة من حيث حكمها إلى أقسام:

١) **البدعة المكفرة**: وهي ما ثبت فيها دليل يدل على أن فاعلها كافر، كسؤال أهل القبور والطواف على القبور والسجود لغير الله.

٢) **البدعة المفسقة**: وهي مالم يثبت فيها دليل يدل على وصولها لدرجة الكفر مثل بدعة المولد النبوي.

٣) **بدعة لا تصل لحد الفسق**: كبدعة الدعاء الجماعي بعد الصلوات، والذكر على هيئة الاجتماع بصوت واحد.

○**قوله**: «**لَعَلَّكَ تُفْلِحُ**» أي: إذا فعلت ما أمرتك به في هذه الوصايا الثلاث، فأرجو لك الفلاح والسعادة في الدارين، وهذه الثلاث هي: «التمسك بكتاب الله، والاتباع للنبي ﷺ، واجتناب البدع» فإذا حقق المسلم هذه الثلاث فحري به أن ينال الفوز في الدارين.

وأما الذين خالفوا الكتاب والسنة واشتغلوا بالكلام وانحرفوا عن الحق، فقد جانبوا طريق الفلاح، كما قال الإمام الشافعي: «ما ارتدى أحد الكلام فأفلح»[1].

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ١١١)، وشرح السنة للبغوي (١/ ٢١٧)، وتحريم النظر في كتب الكلام ص (٤١).

وَدِنْ بِكِتَـــابِ اللهِ وَالسُّـــنَنِ الَّتِـــي أَتَتْ عَـنْ رَسُـولِ اللهِ تَنْجُـو وَتَـرْبَحُ

○**قوله**: «**وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ**» **دن**: فعل أمر مشتق من الديانة، والمراد: اتبع في دينك كتاب الله وسنة النبي ﷺ.

○**قوله**: «**وَالسُّنَنِ الَّتِي**» السنة في اللغة: هي الطريقة، أما في الاصطلاح الشرعي عند المحدثين فهي: ما ثبت عن الرسول من أقواله وأفعاله وتقريراته، وهذا التعريف يشمل عموم ما ورد عن النبي ﷺ.

والناظم يشير بهذا البيت إلى مصادر التلقي عند أهل السنة: وهما الكتاب والسنة، وهناك مصدر ثالث عند أهل السنة وهو الإجماع لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ**﴾ [النساء:١١٥].

أما المصدر الرابع فهو القياس وهو إلحاق الفرع بالأصل في الحكم لعلة تجمع بينهما، وحتى يكون القياس صحيحًا ومعتبرًا في الشريعة لابد أن يستكمل الشروط والضوابط التي وضعها العلماء، وهناك الكثير من الأقيسة ليست بصحيحة لإخلالها بهذه الضوابط فلا يعتبر بها.

وهناك مصادر غير هذه المصادر الأربعة قال بها بعض أهل العلم، ولكن القول الصحيح أن مصادر التلقي المعتمدة عند أهل السنة هي هذه المصادر وفي المصدر الرابع خلاف مشهور.

○**قوله**: «**تَنْجُو وَتَرْبَحُ**» أي: إذا دنت لله وعبدته متبعًا لكتابه وسنة رسوله ﷺ تنجو من جميع الآفات وتسلم من الهلكات، وتربح بالفوز والفلاح والخلود في دار النعيم وجوار الكريم، وفي هذا بيان فائدة التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن فيهما النجاة والربح.

وَقُــلْ غَــيْرُ مَخْلُــوقٍ كَــلامُ مَلِيكِنَــا .....

○**قوله:** «**وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ مَلِيكِنَا**» تحدث الناظم هنا عن مسألة القرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق، فجعل هذه المسألة أول مسائل العقيدة في هذا النظم فما مناسبة ذلك؟

المناسبة: أنَّ الناظم رحمه الله أوصى في أول بيت من هذه المنظومة بالتمسك بالقرآن، فكان من المناسب أن يبدأ بالمسائل المتعلقة بالقرآن حيث أوصى به قبل هذا البيت.

والقول بأن القرآن غير مخلوق هو مذهب أهل السنة والجماعة، يقولون: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، فيصرحون بذلك خلافًا للجهمية والواقفة، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ﴾ [ص:٢٩]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء:١٩٢،١٩٣]، وغيرها من الآيات الكثيرة التي تبيِّن أنَّ القرآن منزل.

وهنا يرد إشكال: وهو أن الله سبحانه وتعالى أضاف القرآن إلى جبريل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ [التكوير:١٩،٢٠] كما أضافه إلى النبي الكريم محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖ﴾ [الحاقة:٤٠،٤١]، فقد يستمسك بهذا أهل الشرك الذين يكذبون بالقرآن ويقولون: هذا من قول محمد، فما الجواب؟

الجواب على هذا الإشكال: أن الإضافة هنا إضافة تبليغ، من جبريل ومن النبي ﷺ، فقد أَدَّيا ما أوجب الله عليهما من تبليغ القرآن وقاما بذلك عليهما السلام خير قيام، فجبريل بلغ القرآن للنبي ﷺ، والنبي ﷺ بلغ القرآن لأمته.

.....

□ مسألة: يلاحظ في هذه المنظومة والمنظومة السابقة (اللامية) كثرة التنصيص على أن القرآن منزل غير مخلوق فلماذا؟

الجواب: لأن مقتضى القول بأن القرآن مخلوق نفي الكلام عن الله تعالى، والذي لا يتكلم لا يصح أن يكون معبودًا، والدليل قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ [الأعراف:١٤٨]، فنستفيد من هذه الآية أن عدم الكلام صفة نقص وعيب، فهؤلاء المبتدعة وصفوا الله بهذا فشبهوه بالجمادات، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

□ مسألة: من أين أخذ الجهمية هذا المذهب الباطل؟

أخذت الجهمية ذلك من الجعد بن درهم الذي تشرَّب أفكار الفلاسفة واليهود وغيرهما من النِّحل الباطلة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - وهو يتحدث عن الجعد بن درهم -: «قال الإمام أحمد: وكان يقال: إنه من أهل حرَّان، وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات، وكان بحرَّان أئمة هؤلاء الصابئة الفلاسفة، بقايا أهل هذا الدين أهل الشرك ونفي الصفات والأفعال، ولهم مصنفات في دعوة الكواكب»[1].

○**قوله**: «**كَلامُ مَلِيكِنَا**» فيه إثبات اسم من أسماء الله، وهو اسم المليك، والدليل على هذا قول الله تعالى كما في آخر سورة القمر: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾[القمر:٥٥].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣١٣).

○**قوله**: «**بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِياءُ**» أي: تعبدوا لله بذلك، واعتبروه دينًا يدينون الله عز وجل به، وهو أن الله سبحانه وتعالى متكلم حقيقة بحرف وصوت، وأن آحاد كلامه متعلق بمشيئته وإرادته، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة من لدن الصحابة رضي الله تعالى عنهم إلى أن خط قلم الناظم هذا النظم، وإلى يومنا هذا: أن القرآن منزل غير مخلوق.

و«**الأَتْقِياءُ**» جمع تقي، والتقوى: هي أن تجعل بينك وبين الله وقاية، وذلك بفعل المأمورات وترك المحظورات.

○**قوله**: «**وأَفْصَحُوا**» أي: بَيَّنوا معتقدهم في كلام الله وأظهروه في مؤلفاتهم وهذا ظاهر لمن قرأ وتأمل في كتب أهل السنة والجماعة.

قال الإمام الآجري ﷺ: «اعلموا رحمنا الله وإياكم أن قول المسلمين الذين لم تزغ قلوبهم عن الحق، ووفقوا للرشاد قديمًا وحديثًا أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من علم الله، وعلم الله لا يكون مخلوقًا، تعالى الله عن ذلك، دل على ذلك القرآن والسنة، وقول الصحابة رضي الله عنهم وقول أئمة المسلمين لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «السلف كلهم أنكروا على الجهمية النفاة، وقالوا بالإثبات وأفصحوا به، وكلامهم في الإثبات والإنكار على النفاة أكثر من أن يمكن إثباته في هذا المكان». ثم ذكر عددًا من أئمة السلف[(٢)].

---

(١) الشريعة (١/ ٤٨٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ١٨٠).

وَلا تَـكُ فِي الْقُـرْآنِ بـالوَقْفِ قَـائِلًا .....

○قوله: «وَلا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلًا» (لا) هنا ناهيـة، و(تَـكُ) فعـل مضارع مجزوم، أصلها (تكون) ثم دخلت عليها لا الناهية فسـكنت النـون فالتقى ساكنان فحذفت الواو لالتقاء الساكنين ثم حذفت النون تخفيفًا.

وفي هذا البيت تحدث الناظم ﷺ عن الواقفة الذين قالوا في هذه المسـألة بالتوقف، وقالوا: لا نقول مخلوق أو غير مخلوق، وهذا القـول باطـل، وقـد نـص أئمـة السـلف قـديمًا وحـديثًا: عـلى أنَّ الواقفـة هـم أشر الطوائـف، وأضلهم، قال الإمام أحمد ﷺ: «الواقفة هم الذين يقولون القرآن كـلام الله ولا يقولون هو غير مخلوق»، ثم قال ﷺ: «وهم شر الأصناف وأخبثها»[1].

وقال عثمان بن أبي شيبة ﷺ: «هؤلاء الـذين يقولـون: القـرآن كـلام الله ويسكتون شر من هؤلاء»[2]، يعني ممن قال: القرآن مخلوق.

□ لماذا اعتبرت الواقفة أخبث من الجهمية؟

الجواب: مذهب الجهمية الباطل فيه صريح ومعلوم لكثير من الناس، بخلاف الواقفة فخطرهم على الناس كبير؛ لأن الباطل في قولهم ليس ظاهرًا بل فيه تلبيس وقد لَبِسُوا فيه ثوب الورع؛ ولهذا قد يظن الجهال أنَّ مذهب الواقفة وسطٌ عدلٌ؛ لأنهم لم يقولوا بقول الجهمية ولا بقول أهل السنة والجماعة.

(١) ينظر: الشريعة للآجري (١/ ٥٣٤).

(٢) المصدر السابق (١/ ٥٢٩).

❑ أيهم أشد خطراً على المسلمين اليهود أم المنافقون؟

الجواب: المنافقون لأنهم بين ظهراني المسلمين ويغتر بهم الناس؛ ولهذا كانوا أخطر من اليهود، وجعل الله مصيرهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، وهكذا الواقفة يغتر بمذهبهم الناس، كما يغترون بالمنافقين.

○**قوله**: «**كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ**» هنا إشكال وهو أن الناظم قال عن الواقفة كما قال أتباع لجهم، وقد مر بنا أن الجهمية الذين ينسبون إلى الجهم، يقولون: إن القرآن مخلوق، بينما الواقفة يتوقفون في ذلك، فكيف يقول الناظم إنهم أتباع لجهم؟

الجواب: لأن الواقفة قالوا بالتوقف تأثرًا بمذهب الجهم بن صفوان، فما قالوه عن القرآن سببه مذهب الجهم، فهم أرادوا الفرار من هذا المذهب.

ويمكن أن يجاب بجواب آخر: وهو أنهم انحرفوا في مسألة القرآن وضلوا كما ضل أتباع الجهم، فوجه المشابهة بينهما في الضلال.

○**قوله**: «**وَأَسْجَحُوا**» الإسجاح في اللغة: هو اللين والتساهل، وفي الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع، أن النبي ﷺ قال: «**يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ**»[1] أي: ملكك الله أمر الناس فلِنْ معهم وكن هينا في التعامل معهم، وهنا الواقفة لانوا مع الجهمية وجاملوهم، والواجب التصريح بأن القرآن منزل غير مخلوق.

وجاء في بعض نسخ الحائية: «**وَأَسْمَحُوا**» أي: تَسَمحوا بالقول في خلق القرآن وتساهلوا فيه، وكلا اللفظين معناهما واحد.

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ٦٦) رقم (٣٠٤١)، وصحيح مسلم (٣/ ١٤٣٢) رقم (١٨٠٦).

وَلاَ تَقُــلِ الْقُــرْآنُ خَلْــقٌ قَرَأْتُــهُ فَــإِنَّ كَــلَامَ اللهِ بِــاللَّفْظِ يُوضَــحُ

○قوله: «وَلاَ تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ» المذاهب التي خالفت أهل السنة في القرآن ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: مذهب الجهمية والمعتزلة وهو أن كلام الله تعالى شيء منفصل عن الله مخلوق، خلقه الله تعالى(١).

المذهب الثاني: مذهب الواقفة.

المذهب الثالث: مذهب من قال لفظي بالقرآن مخلوق(٢).

والمؤلف هنا يشير إلى المذهب الثالث، فهل هو حق أو باطل؟

الجواب: أن هذه الجملة محتملة فتحتمل حقًا وتحتمل باطلًا، فعليه لابد من التفصيل، فيقال لهذا القائل: إن كان المقصود بقولك لفظي بالقرآن مخلوق كلام الله فهذا باطل، وإن كان القصد ذات التلفظ الذي تتلفظ به بلسانك مخلوق، من حيث أن اللسان مخلوق وصوت المتلفظ مخلوق، فهذا صحيح، فلذلك كان أهل العلم من أهل السنة يقولون: «الصوت صوت القارئ والكلام كلام الباري».

فعلى هذا يجب التفصيل في هذه الجملة؛ لأنه قد يراد بها حق، وقد يراد بها باطل، وأهل السنة يتحاشون هذه الجملة مخافة الإيهام.

وهنا فائدة لطالب العلم، وهي: أن يحرص على أن يكون كلامه واضحًا ويجتنب الإيهام مخافة إيقاع الناس في ما هو محذور.

---

(١) انظر: التوضيحات الجلية على شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٧٥).

(٢) أول من قال بها حسين الكرابيسي فبدعه الإمام أحمد رحمه الله.

وَقُــلْ يَــتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْــقِ جَهْــرَةً كَــمَا الْبَــدْرُ لاَ يَخْفَــى وَرَبُّــكَ أَوْضَــحُ

○**قوله**: «**وَقُلْ**» أي: قل أيها المتمسك بالكتاب والسنة، والمتبع لمذهب أهل السنة والجماعة.

○**قوله**: «**يَتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْقِ**» أي: يكشف لهم الحجاب يوم القيامة، فيظهر لهم سبحانه وتعالى، ويرونه عيانًا بأبصارهم.

○**قوله**: «**جَهْرَةً**» أي: عيانًا جهارًا دون حجاب.

○**قوله**: «**كَمَا الْبَدْرُ لاَ يَخْفَى**» مأخوذ من قول النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخُدْرِيِّ: «**أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "نَعَمْ، هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟"، قَالُوا: لاَ، قَالَ: "وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟: قَالُوا: لاَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا"**»[1].

○**قوله**: «**وَرَبُّكَ أَوْضَحُ**» أي: أظهر وأبين من البدر؛ لأن البدر من مخلوقاته، والتشبيه هنا للرؤية لا للمرئي فإن الله ليس كمثله شيء، والمعنى ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك، وتنتفي معها المرية كرؤيتكم القمر لا ترتابون ولا تمترون.

وفي هذا البيت يتحدث الناظم عن مسألة الرؤية، وقد انقسم الناس فيها إلى ثلاثة أقسام:

١) **الرافضة والإباضية والجهمية والمعتزلة**: ينكرون رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٤٤) رقم (٤٥٨١)، وصحيح مسلم (١/ ١٦٧) رقم (١٨٣).

.....

٢) مذهب طوائف من الصوفية: الذين قالوا: «إن الله يرى في الدنيا والآخرة) فهذا فيه حق وفيه باطل، والحق إثبات الرؤية في الآخرة والباطل إثباتها في الدنيا، كما قال تعالى عن موسى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ لن هنا ليست للتأبيد، فالله لا يرى في الدنيا لكن يرى في الآخرة، فالمقصود لن تراني في الدنيا.

٣) مذهب أهل السنة: وهو إثبات الرؤية في الآخرة دون الدنيا، وهذا هو الحق الذي دلت عليه النصوص.

لكن قد يقول قائل: كيف يطيق المؤمن رؤية الله في الآخرة مع أن الله تعالى ذكر عن موسى أنه لم يطق ذلك قال تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾[الأعراف:١٤٣]؟

والجواب: أن الله تعالى يمنحهم - وهو القوي القادر - قوة يستطيعون بها الرؤية والثبات في هذا الموقف، لكنها مجرد رؤية وليست إدراكًا؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] فهم يرونه في الآخرة لكن لا يدركونه.

فقوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢،٦١].

فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به علمًا[(١)].

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢١٥).

وَلَـــيْسَ بِمَوْلُـــودٍ وَلَـــيْسَ بِوَالِـــدٍ وَلَـــيْسَ لَـــهُ شِـــبْهٌ تَعَـــالَى الْـــمُسَبَّحُ

○ **قوله:** «**وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ**» أي: ليس الله سبحانه وتعالى بمُتَوَلِّد عن أصلٍ فيكون فرعًا، فهو الأول وليس قبله شيء.

○ **قوله:** «**وَلَيْسَ بِوَالِدٍ**» أي: ليس له سبحانه وتعالى ولد ولا صاحبة.

وقد أخذ الناظم رحمه الله هذا الكلام من قول الله تعالى في سورة الإخلاص: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:٣]، وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام:١٠١].

○ **قوله:** «**وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ**» أي: ليس له نِدٌّ ولا نظير ولا مثيل سبحانه وتعالى لا في ذاته المقدسة، ولا في صفاته المنزهة، ولا في أفعاله سبحانه، وقد أخذ الناظم هذا أيضًا من سورة الإخلاص في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[الإخلاص:٤]، وقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

○ **قوله:** «**تَعَالَى**» أي: ارتفع قدره وتقدس، أن يكون مولودًا أو له ولدٌ أو مثيلٌ أو نظيرٌ.

○ **قوله:** «**الْـمُسَبَّحُ**» أي: المنزه عن جميع النقائص.

وكل الذي ذكره الناظم في هذا البيت أخذه من سورة الإخلاص كما سبق، وهي سورة عظيمة ذُكِرَ فيها التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

والقرآن على ثلاثة أقسام:

١) ما أخلص في التوحيد كما في سورة الإخلاص.

٢) ما اشتمل على بيان الحلال والحرام.

٣) ما جاء في أخبار وقصص الأمم الغابرة.

.....

فالقرآن مشتمل على هذه الثلاث، إما توحيد مع نفي ضده، وإما أحكام وبيان للحلال والحرام، وإما قصص وعظات عن الأمم السالفة، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، كما في البخاري من حديث أبي سعيد الخدري: «**أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(١)، وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة قال: «**خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فَقَرَأَ قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ الله الصَّمَدُ حَتَّى خَتَمَهَا**»(٢).

والمتأمل فيها يجد أنها جردت في التوحيد خاصة، ولهذا عدلت ثلث القرآن؛ لأنها اشتملت على قسم من هذه الأقسام الثلاثة، وقد تضمنت هذه السورة النفي والإثبات، أما النفي فهو للمعايب والنقائص عن الله تعالى، فكل نقص منفي عنه، كما تضمنت إثبات الكمال المطلق لله جل جلاله، وفي قوله عزَّ في علاه ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ نفي للولد عن الله تعالى، وفي هذا رد على ثلاث طوائف أثبتت له الولد، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا وهم:

١) **اليهود**: حيث قالوا: عزير ابن الله.

٢) **النصارى**: حيث قالوا: المسيح ابن الله، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠].

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٨٩) رقم (٥٠١٣).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٥٥٧) رقم (٨١٢).

وَقَـدْ يُنْكِـرُ الجَهْمِـيُّ هَـذَا وَعِنْـدَنَا بِمِصْدَاقِ مَـا قُلْنَـا حَـدِيْثٌ مُصَـرِّحُ

---

٣) أهل الشرك: الذين جعلوا الملائكة بنات الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [النحل:٥٧] والآيات في ذلك كثيرة.

❑ ما مناسبة هذا البيت لما قبله وما بعده؟

الجواب: البيت الذي قبله عن الرؤية، وكذلك الذي بعده، والمؤلف أراد بهذا البيت الرد على النفاة الذين أنكروا الرؤية مخافة تشبيه الخالق بالمخلوق، وقالوا: لو أثبتنا الرؤية لأثبتنا له الجسم وشبهناه بالخلق؛ لأن الرؤية لا تقع إلا على ذي جسم.

فهم قاسوا هذا القياس الباطل، فرد المؤلف عليهم بأنه ليس بمولود وليس بوالد، ولا يشبه خلقه؛ ولهذا أهل السنة يثبتون الصفات التي دلت عليها النصوص من غير تشبيه.

○ **قوله**: «**وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ**» (قد) هنا جاءت للتحقيق، أي: حقيقة مقال الجهمي إنكار رؤية الله.

وقد جاء هذا البيت بعد قول الناظم:

وَلَـيْسَ بِمَوْلُـودٍ وَلَـيْسَ بِوَالِـدٍ وَلَـيْسَ لَـهُ شِـبْهٌ تَعَـالَى الْـمُسَبَّحُ

والجهمي لا ينكر هذا، وإنما المراد إنكاره للرؤية.

○ **قوله**: «**وَعِنْدَنَا**» أي: نحن معشر أهل السنة والجماعة.

○ **قوله**: «**بِمِصْـدَاقِ مَـا قُلْنَـا حَـدِيْثٌ مُصَـرِّحُ**» أي: يصدق ما قلنا في رؤية الله يوم القيامة حديث صريح في إثبات الرؤية، لا يحتمل التأويل.

رَوَاهُ جَرِيـــرٌ عَـــنْ مَقَـــالِ مُحَمَّـــدٍ فَقُلْ مِثْلَ مَـا قَـدْ قَـالَ فِي ذَاكَ تَـنْجَحُ

○ **قوله:** «**رَوَاهُ جَرِيرٌ**» أي: روى ذلك الحديث الصريح الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي ﷺ.

وقد روى هذا الحديث عدد من الصحابة الكرام، بل ذكر السفاريني في (لوائح الأنوار) أنه رواه خمسون إمامًا، والأحاديث في هذا الباب قد وصلت إلى حد التواتر فهي كثيرة.

○ **قوله:** «**عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ**» أي: يروي هذا الحديث جرير من قول النبي ﷺ الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، وفي هذا إشارة إلى أن أهل السنة يأخذون عقيدتهم من الوحي مما جاء في الكتاب والسنة، وأهل البدع يأخذونها من عقولهم وآراء الرجال وأهواء المضلين.

وحديث جرير في إثبات الرؤية، أخرجه البخاري ومسلم [1]، ولفظه عن جرير قال: «**كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**».

○ **قوله:** «**فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ**» أي: قل أيها المسلم المسترشد طالب النجاة مثل ما قال النبي ﷺ في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، فتظفر بموافقة الصواب ومتابعة السنة والكتاب، فتكون بذلك مع تمسكك بسائر معتقد أهل السنة والجماعة من الفرقة الناجية المنصورة، وتنجو من الخسران والخيبة ومخالفة قول النبي ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٠٣) رقم (٥٢٩)، وصحيح مسلم (١/ ٤٣٩) رقم (٦٣٣).

وَقَـدْ يُنْكِـرُ الجَهْمِـيُّ أَيْضًـا يَمِينَـهُ وَكِلْتَـا يَدَيْـهِ بِالْفَوَاضِـلِ تَـنْفَحُ

○**قوله:** «**وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ**» أي: أن الجهمية ينكرون صفة من صفات الله، وهي صفة اليد، وصفات الله تعالى باعتبار تعلقها بذات الله وأفعاله تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١) **صفات ذاتية**: والضابط في معرفتها أنها لا تنفك عن الله، مثال: اليدين، البصر، السمع، القدم، الوجه.

٢) **صفات فعلية**: كالاستواء، والنزول، والضحك.

٣) **صفات ذاتية فعلية**: كصفة الكلام، فهي ذاتية باعتبار أصل الصفة، وفعلية باعتبار آحاد الكلام.

والصفات الفعلية نوعان:

النوع الأول: فعلية متعدية كالرحمة.

النوع الثاني: فعلية غير متعدية كالإتيان والمجئ.

❑ **ما الفرق بين الصفات الذاتية والفعلية؟**

الجواب: أن الذاتية لا تنفك عن الله، فهي لازمة لذاته أزلًا وأبدًا، وأما الفعلية فهي متعلقة بمشيئته سبحانه.

والمقصود أن ما ذكره الناظم هنا، هو إنكار على الجهمية الذين أنكروا صفة اليد لله تعالى.

و(**قد**) في قوله: «**وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ**»، للتحقيق، ومعنى البيت: أن الجهمية كما أنكروا رؤية الله فهم ينكرون إثبات اليدين لله تعالى، مع أن القرآن صريح في إثبات اليدين لله تعالى.

إذن ماذا يقولون عن الآيات الواردة في إثبات اليدين لله كقوله:﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]؟

الجواب: يقولون: المراد باليد هنا القدرة.

والــرد علــيهم بــأن الله ذكــر اليــدين بلفــظ التثنيــة، فهــل تثبتــون لله قدرتين؟ولو قالوا بـذلك لتناقضـوا، والصـواب في هـذه المسـألة أن نثبـت اليد لله على ما يليق بجلاله، من غير تمثيل بأيدي المخلوقين.

□ مسألة: هل يقال إن لله تعالى يداً أخرى وهي الشمال أو لا يقال بذلك؟

الجواب: أنه جاء في بعض الروايات عند مسلم إثبات الشمال لله سـبحانه وتعالى، لكن أكثر الأحاديث لم تأت بهذه التسمية، وإنما جاء فيها: «**كِلْتَـا يَدَيْـهِ يَمِينٌ**»[(١)]؛ لذلك حكم بعض أهل العلم على روايـة مسـلم بالشـذوذ، ولكـن رجح بعض المحققين أنه لا تنافي بين الـروايتين؛ لأن المعنـى في قولـه: «**كِلْتَـا يَدَيْهِ يَمِينٌ**» أن اليد الأخرى ليست كالشمال بالنسـبة للمخلـوقين؛ لأن شـمال المخلوق ناقصة عن اليمنى، بينما يديه سبحانه سواء في الكمال[(٢)].

○**قوله**: «**وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّـارُ فِي كُـلِّ لَيْلَـةٍ**» أثبـت النـاظم في هـذا البيـت صـفة النزول على ما يليق بجلاله تعالى، والأحاديث الواردة في هذا متـوافرة متضـافرة، رواها جماعات من الصحابة، ولهذا نص أهـل العلـم عـلى أن أحاديـث النـزول بلغت حد التواتر، نص عليه شيخ الإسلام في الفتاوى، وابن القيم في الصـواعق وغيرهما من أهل العلم، ومذهب أهل السنة في هذا الباب قائم على أصلين:

١) الإثبات بلا تمثيل.

٢) التنزيه بلا تعطيل.

فنثبت ولا نمثل وننزه ولا نعطل.

---

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٤٥٨) رقم (١٨٢٧).

(٢) ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٥٣٤).

❑ ماذا يقول نفاة صفة النزول عن هذا الحديث؟

الجواب: منهم من قال: إن الرحمة هي التي تنزل، ومنهم من قال: ينزل أمر ربنا، ومنهم من قال: ينزل ملك من الملائكة وهذا كله تحريف.

❑ كيف نجيب على هذا التأويل الذي صدر عن هؤلاء؟

الجواب: نرد عليهم من هذا الحديث، أي حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**» حيث جاء في آخره: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[(١)]. فالرحمة لا يمكن أن يتصور منها قول ذلك، إنما هو من قول الله، فهو الذي يغفر للمستغفر، ويجيب الداعي.

○**قوله**: «**الجَبَّارُ**» الجبار من أسماء الله قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر:٢٣].

○**قوله**: «**بِلَا كَيْفَ**» أي: ينزل الله سبحانه وتعالى نزولًا يليق بجلاله لا نعلم كيفيته، فلا يقال: كيف ينزل، وإنما نثبت ذلك من غير تكييف ولا تمثيل.

○**قوله**: «**جَلَّ**» أي: تعاظم وعلا شأنه.

○**قوله**: «**الْوَاحِدُ**» هذا من أسماء الله فهو: الواحد الأحد.

○**قوله**: « **الْمُتَمَدَّحُ**» أي: المتصف بصفات المدح والكمال والجلال.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٣) رقم (١١٤٥)، ومسلم (١/ ٥٢١) رقم (٧٥٨).

إِلَى طَبَــقِ الــدُّنْيَا يَمُــنُّ بِفَضْــلِهِ فَتُفْــرَجُ أَبْــوَابُ السَّــمَاءِ وَتُفْــتَحُ
يَقُــوْلُ أَلا مُسْــتَغْفِرٌ يَلْــقَ غَــافِرًا وَمُسْــتَمْنِحٌ خَــيْرًا وَرِزْقًــا فَيُمْــنَحُ

○**قوله**: «**طَبَقِ الدُّنْيَا**» أي السماء الدنيا، وقد جاء ما يدل على تسميتها بالطبق، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح:١٥] وهذا يدل على أن هؤلاء الأئمة يتقيدون ويلتزمون بألفاظ القرآن والسنة.

○**قوله**: «**يَمُنُّ بِفَضْلِهِ**» أي: ينزل ليَمُنَّ بفضله وكرمه وجوده على عباده، حيث يقول: هل من سائل، هل من مستغفر، هل من داع؟ كما في حديث النزول: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»، ومن أسمائه سبحانه وتعالى المنان وهو المنعم المعطي من المنّ وهو العطاء.

○**قوله**: «**فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ**» أي: تنكشف وتفتح أبواب السماء؛ لنزول المنح منها والرحمة والمغفرة والخير والبركة، وصعود الكلمات الطيبة والعمل الصالح والدعاء.

○**قوله**: «**يَلْقَ غَافِرًا**» هذا من أسماء الله كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢].

وقال في أول سورة غافر: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر:٣].

○**قوله**: «**وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا**» يعني طالب خير من خيري الدنيا والآخرة، فإن الله تعالى يعطيه ويمنحه ويغفر لمن استغفره.

○**قوله**: «**فَيُمْنَحُ**» أي: يمنحه الله ما يريد، ويعطيه سؤله.

رَوَى ذَاكَ قَــوْمٌ لا يُــرَدُّ حَــدِيثُهُمْ أَلَا خَــابَ قُــوْمٌ كَــذَّبُوهُمْ وقُبِّحُــوا

○**قوله**: «**رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ**» إشارة إلى حديث النزول، أي: روى ذلك الخبر قوم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم، وهم ثقات عدول وأئمة جهابذة، ورواياتهم في الصحاح والسنن والمسانيد.

○**قوله**: «**لا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ**» هذا وصف لرواة أحاديث النزول بأنهم لا يرد حديثهم أي: إنهم ثقات ضابطون عدول، بل حديثهم بلغ المتواتر الملزم بتصديقه والمتواتر يلزم التصديق به عند كافة الطوائف.

وسبق أن الأحاديث في هذا الباب أحاديث متواترة[١]، أوصلها ابن القيم إلى أكثر من ثلاثين حديثًا عن أكثر من ثلاثين صحابيًّا.

○**قوله**: «**أَلَا خَابَ قُوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وقُبِّحُوا**» هذا دعاء من الناظم بالخيبة والخسران والتقبيح على من أنكر صفة النزول الثابتة بالأحاديث المتواترة، وكذَّب أولئك القوم الذين رووها بالتواتر.

وهو مسلك أهل البدع والضلال الذين ردوا الأحاديث الصحيحة، وكذبوا رواتها؛ لأنها تخالف قواعدهم وآراءهم الفاسدة.

وهؤلاء قال فيهم السفاريني رحمه الله: «استعملوا قياساتهم الفاسدة وآرائهم الباطلة، وشبههم الداحضة في رد النصوص الصحيحة والآيات الصريحة، فردوا لأجلها ألفاظ النصوص التي وجدوا السبيل إلى تكذيب رواتها وتخطئتهم»[٢].

---

(١) كما نقل ذلك الذهبي في كتابه العلو للعلي الغفار ص (٩١).

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ٧).

وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قِدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الأَرْجَحُ
وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الخَيْرِ بِالخَيْرِ مُنْجِحُ

في هذين البيتين يتحدث الناظم رحمه الله عن فضل الصحابة في هذه الأمة وقد أجمع أهل السنة أن خير هذه الأمة الصحابة رضي الله عنهم، ثم يليهم في الفضل التابعون، ثم أتباع التابعين بدليل حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، قَالَ عِمْرَانُ: لَا أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً**»(١).

وقد امتدح الله الصحابة رضي الله عنهم في العديد من آيات القرآن، حيث قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]، في هذه الآية أثنى الله على الأنصار؛ لأنهم ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ ثم مدحهم بالإيثار ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ثم قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، والصحابة هم طليعة المفلحين الذين وقاهم الله شح نفوسهم، فهذه خمسة أوصاف:

١) يحبون من هاجر إليهم.

٢) لا يجدون في صدورهم حاجة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٩٣٨) رقم (٢٥٠٨)، ومسلم (٤/ ١٩٦٤) رقم (٢٥٣٥).

.....

٣) الإيثار.

٤) الوقاية من شح النفس، ولا يتحقق هذا الفلاح إلا بوقاية النفس من شحها.

٥) الفلاح؛ لقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

والناظم في هذين البيتين يتحدث عن فضل الصحابة، وقد سبق بيان ذلك بشيء من التفصيل في شرح اللامية.

وأفضل الصحابة ﷺ المهاجرون ثم الأنصار، وبتفصيل أدق، أفضل المهاجرين الخلفاء الأربعة، وترتيبهم عند أهل السنة في الفضل على ترتيبهم في الخلافة، على أنه قد وقع خلاف يسير في أول الأمر في المفاضلة بين علي وعثمان فقدم قوم عليًا وقدم آخرون عثمان، لكن استقر الأمر بعد ذلك عند أهل السنة على تفضيل عثمان ﷺ وتقديمه في الفضل على علي.

❑ هل مسألة التفضيل بين عثمان وعلي من المسائل التي يضل فيها المخالف؟

الجواب: ليست هذه المسألة من المسائل التي يضلل فيها المخالف إنما المسألة التي يضلل فيها المخالف تقديم علي على عثمان في الخلافة، فمن خالف في ذلك وقدم عليًا فقد جانب الصواب، وخالف إجماع أهل السنة والجماعة على تقديم عثمان في الخلافة، قال شيخ الإسلام في الواسطية[1]: «ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي ﷺ، كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع عليه الصحابة على تقديم عثمان في البيعة.

(١) العقيدة الواسطية ص (٣٤).

.....

مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما - بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر - إيهما أفضل؟فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلي، وقدم قوم عليًا وقوم توقفوا.

لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي. وإن كانت هذه - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التي يضلل فيها المخالف فيها عند جمهور أهل السنة.

لكن التي يضلل فيها: مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، وعمر، ثم عثمان، ثم علي. ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله».

إذن يفرق بين مسألة التفضيل في الخلافة، والتقديم في الأفضلية، أما تقديم علي على الشيخين في الخلافة وفي الأفضلية فهذا من مذهب الروافض الضُّلال.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «من فضَّل عليًّا على أبي بكر وعمر أو قدمه عليهما في الفضيلة والإمامة دون النسب فهو رافضي مبتدع فاسق».

فعلى هذا الخلاف الذي جرى قديمًا ينحصر في مسألة (تقديم علي على عثمان في الفضيلة).

والمعادون للصحابة رضي الله عنهم، والذين ضلوا فيهم ثلاث طوائف:

١) الخوارج.

٢) النواصب.

٣) الروافض.

.....

أما الرافضة فهم أخبث هذه الطوائف، على الإطلاق، وليس ضلالهم خاصًا في هذه المسألة، بل ضلوا في أبواب كثيرة من الدين، لعلي أشير إلى شيء يسير من ذلك لأهمية هذا الموضوع في هذا الزمان، وسأجعل النقل من كتبهم حرصًا على التوثيق والدقة:

أولاً: ماذا يقول الرافضة عن القرآن؟

يقول الرافضة عن القرآن - الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩]، وقال فيه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١، ٤٢] - أنه مُحَرَّفٌ ومُغيَّر كما صَرَّح بذلك علماؤهم.

قال صاحب كتاب (مشارق الشموس الدرية)[1]: «... والحاصل فالأخبار من طريق أهل البيت أيضًا كثيرة، إن لم تكن متواترة على أن القرآن الذي بأيدينا ليس هو القرآن بتمامه كما أُنْزِلَ على محمد ﷺ، بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو محرف ومغير، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة ...». ثم قال: «إنه ليس على الترتيب المرضي عند الله وعند رسول الله ﷺ ...».

وقال صاحب كتاب (أوائل المقالات)[2]: «إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان».

---

(١) ص (١٢٧).

(٢) ص (٩١).

.....

بل تعدى وأسرف في الضلال كبيرهم الطبرسي حينما أدعى أن بعض آيات القرآن سخيفة، فقال قبحه الله في كتابه (الوثيقة)[1]، بعد ما أثبت الاختلاف في آياته والتناقض قال: «على اختلاف النظم كفصاحة بعض فقراتها البالغة حد الإعجاز، وسخافة بعضها الأخرى، وعلى اختلاف مراتب الفصاحة ببلوغ بعضها أعلى درجاتها، ووصول بعضها إلى أدنى مراتبها...» إلى آخر ما قال مستدلًا على قوله بأن القرآن قد دخله التحريف والتغيير.

هل يقول هذا مسلم يؤمن بالله، يتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٥].

هذا غيض من فيض مما قالوه عن كتاب الله عياذًا بالله، ولا يتسع المقام للإفاضة في ذلك.

ثانيًا: ماذا عن الشرك عند الرافضة؟

أعظم ذنب عُصي الله به: الشرك؛ ولهذا جاء الشرك في المرتبة الأولى من نواهي القرآن قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

هكذا يقول الله عن الشرك، فماذا قال هؤلاء الضالون في الدعوة إلى الشرك بالله؟ - قال الطبرسي في كتابه (مستدرك الوسائل)[2] - وهو يتحدث عن دعاء الكرب -: «تضع خدك الأيمن على الأرض، وتقول مائة مرة في سجودك: يا محمد يا علي، اكفياني فإنكما كافياي، وانصراني فإنكما ناصراي ...».

---

(١) ص (٣١١).

(٢) ص (٣١٠).

.....

وقال صاحب (كشف الأسرار)[١]: «إن طلب الحاجة من الحجر والمدر ليس شركًا، وإن كان عملًا لغوًا باطلًا».

وقال مؤلف (مستدرك الوسائل) في كتاب الحج : «باب جواز الطواف بالقبور: ودخلت فاطمة عليها السلام المسجد، وطافت بقبر أبيها وهي تبكي وتقول: إنا فقدناك فقد الأرض وابلها»[٢].

ثم نقل عن بعض أئمتهم قوله: «بأبي وأمي يا آل المصطفى، إنا لا نملك إلا أن نطوف حول مشاهدكم، ونعزي فيها أرواحكم».

ومن مصائبهم في هذا الباب، أنهم غلوا في أئمتهم، وادَّعوا أن عندهم علم ما في السماء وما في الأرض، وعلم ما كان، وعلم ما يكون، وما يحدث بالليل والنهار، وعندهم علم النبيين وزيادة، كما صرح بذلك العديد من أكابرهم كما في كتاب مصابيح الأنوار في مشكلات الأخبار[٣].

وقال صاحب (علل الشرائع)[٤]: «قال: أبو عبد الله: إذا كان يوم القيامة وُضع منبر يراه جميع الخلائق، يقف عليه رجل يقوم ملك عن يمينه، وملك عن يساره، فينادي الذي عن يمينه يقول: يا معشر الخلائق: هذا علي بن أبي طالب صاحبُ الجنة يُدخلُ الجنةَ من شاء، وينادي الذي عن يساره: يا معشر الخلائق: هذا علي بن أبي طالب صاحبُ النارِ يُدخلها من شاء...».

---

(١) ص (٥٦).

(٢) مستدرك الوسائل ص (٣٦٦).

(٣) ص (٣٩٧).

(٤) ص (١٩٦).

.....

هكذا يقولون عياذًا بالله مما يقولون، ماذا بقي لله، والله تعالى يقول ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢]، وشنائعهم في هذا الباب أكثر من أن تُحصر، ولا يُسعف المقام لأكثر من هذا.

وكما أن القوم غلوا في تقديس أئمتهم، فقد غلوا أيضًا في ذم بقية الصحابة وزوجات النبي ﷺ، بل لقد كفّروا بعضهم ولعنوهم عياذًا بالله، قال صاحب (لآلئ الأخبار) قولًا شنيعًا ... أنزه أسماعكم عن مثله، لكنها الحقيقة المرة لابد من بيانها لمعرفة الرافضة على حقيقتهم كما في كتبهم، لندرك حقد القوم وبغضهم للصحابة ﷺ، قال هذا المؤلف: «تنبيه، اعلمْ أن أشرف الأمكنة والأوقات والحالات وأنسبها للعن عليهم، عليهم اللعنة، إذا كنت في المبال - أي مكان البول - فقل عند كل واحد من التخليةِ والاستبراء والتطهير مرارًا بفراغ من البال: اللهم العن عمرَ ثم أبا بكرٍ وعمرَ ثم عثمانَ ثم معاويةَ ثم العن عائشةَ وحفصةَ، والعن من رضي بأفعالهم إلى يوم القيامة»[1].

وقال مؤلف (الأنوار النعمانية)[2]: «روي في الأخبار الخاصة أن أبا بكرٍ كان يصلي خلف رسول الله ﷺ والصنم معلقٌ في عنقه وسجوده له».

ونقل مؤلف كتاب (إلزام الناصب) عن بعض مفسريهم أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾ [القصص:٦].

(١) لآلئ الأخبار (٤/ ٩٢).

(٢) ص (٥٣).

.....

قال المفضلُ يا سيدي: ومَنْ فرعون؟ ومَنْ هامان؟ قال عليه السلام: أبوبكر وعمر»[١].

بل زعموا أن الصحابة ﷺ ارتَدُّوا بعد النبي ﷺ، فقال صاحب (الروضة من الكافي)[٢]: عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناسُ أهلَ ردةٍ بعد النبي ﷺ إلاَّ ثلاثة، فقلتُ: ومن الثلاثة؟ فقال: المقدادُ بن الأسود وأبو ذرٍ الغفاري، وسلمان الفارسي».

ونقل مؤلفُ مرآةِ العقول من كتاب الروضة[٣]: «عن حسين الجمالِ عن أبي عبد الله في قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾[فصلت:٢٩] قال هما، ثم قال: وكان فلان شيطانًا، عقّب على ذلك بقوله: «هما» أي أبا بكر وعمر والمراد بفلان عمر، وإنما سمي به لأنه كان شيطانًا، إما لأنه شرك شيطان لكونه ولد زنا، أو لأنه كان في المكر والخديعة كالشيطان ... إلى آخر ما قال قبحه الله.

بل إنهم آذوا النبي ﷺ حينما اتهموا عائشة ﵂ بالفاحشة، وهذا مستفيض في كتب القوم، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[الأحزاب:٥٧]، سبحان الله أين عقول هؤلاء؟!

---

(١) إلزام الناصب (٢/ ١٦٦).

(٢) ص (٢٤٥).

(٣) ص (٤٨٨).

.....

كيف يبعث الله رسولَه ﷺ ثم يجعل خاصةَ أصحابهِ وخالص أحبابهِ مجموعة من الكذبة والغششة؟ أيجعلهم حثالةً من المرتدين؟! نعوذ بالله.

لقد أثنى الله على صحابة رسوله ﷺ في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، أيعقل أن أولئك نزرٌ يسيرٌ، ونستثني الكثرةَ الكاثرةَ من أصحابه؟!

لقد رضي الله عمن بايع تحت الشجرة، وهم ألف وأربعمائة، ومنهم العشرة المبشرون بالجنة وأثنى على من أسلم من قبل الفتح، وكذلك من أسلم بعده، وبَيْنَ أن الذين أسلموا قبله أفضل، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد:١٠].

وَبيَّنَ أيضًا أن زوجات النبي ﷺ كلهن أمهات المؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]، ولم يستثنِ أحدًا، وكذلك بَيَّنَ أنه لما خيرهن بين الدنيا وبين البقاء مع النبي ﷺ، اخترن البقاء معه، إلى أن توفي وهن في عصمته...، ولو اخترن الدنيا أو كفرن لما كان يجوز في الإسلام أن يبقين مع النبي ﷺ، بل يلزمه مفارقتهن.

وأثنى الله على المهاجرين والأنصار كلهم كما في سورة الحشر، فوصف المهاجرين بأنهم هم المفلحون، ووصف الأنصارَ بأنهم هم الصادقون، وبين أن المؤمنين من بعدهم هم الذين يدعون لهم ويستغفرون لهم، وليسوا هم الذين يسبونهم ويلعنونهم صباح مساء، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

.....

فهم الذين استيقظت بأذانهم دنيا الخليقة من تهاويل الكرى
حتى هوت صور المعابد سُجدًا لجلال من خَلَقَ الوجودَ فصورا
فمن الأُلى حملوا بعزم أكفهم باب المدينة يومَ غزوةِ خيبرا؟
أمَّن رمى نار المجوس فأُطفئت وأبَان وجه الحق أبلجَ نيرا؟
ومن الذي بذل الحياةَ رخيصةً ورأى رضاك أعز شيءٍ فاشترى!؟

روى الكشي أحد علماء الرافضة بسنده عن الباقر أنه ارتد الناس بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة: (سلمان، وأبا ذر، والمقداد).

بل إن شرهم وصل إلى النبي ﷺ، ذكر ابن القيم أنَّ عددًا منهم كانوا في مسجد النبي ﷺ فقال أحدهم: من سبب هذا البلاء؟ فأجابه أحدهم بعد ما أشار إلى قبر النبي ﷺ قال صاحب هذا القبر، يعني قبر النبي ﷺ.

ولهم ارتباط وثيق باليهود من وجهين:

الوجه الأول: أنَّ أول من كفر الصحابة هو عبد الله بن سبأ كما قال الكشي في (حق اليقين في معرفة أصول الدين) وفي هذا دلالة على أنهم فعلوا كما فعل وكفروا الصحابة إلا ما ذكر سابقًا.

الوجه الثاني: كثرة تواجدهم في هذا العصر أي اليهود في أصبهان وهي في إيران، وقد قال ﷺ: «**يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ**»[1]، والطيالسة: ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف، أو يحيط بالبدن.

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٦٦) رقم (٢٩٤٤).

وإِنَّهُــمْ للــرَّهْطُ لا رَيْــبَ فِــيهِمُ عَلَى نُجُبِ الْفِـرْدَوْسِ بـالنُّورِ تَسـرَحُ
سَعِيدٌ وَسَـعْدٌ وَابْـنُ عَـوْفٍ وَطَلْحَـةٌ وَعَــامِرُ فِهْــرٍ وَالــزُّبَيْرُ الــمُمَدَّحُ

○**قوله**: «**وإِنَّهُمْ للـرَّهْطُ**» الـرهط: هـم الجماعـة دون العشـرة وقـد قصـد المؤلف بهؤلاء الرهط العشرة المبشرين بالجنة وقد ذكر من قبل الخلفاء الأربعة.

○**قوله**: «**عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ**» النجب: النوق.

○**قوله**: «**سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ** ...» ثم سمى بقية هؤلاء الرهط.

فأولهم: سعيد وهو ابـن زيـد بـن عمـرو بـن نفيـل وهـو مـن العشـرة المبشـرين بالجنة كما في الحديث الثابت عـن النبـي عنـد الترمـذي وأحمـد في مسنده، عن عبد الرحمن بن عـوف قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**أَبُـو بَكْـرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّـةِ، وَعَـلِيٌّ فِي الجَنَّـةِ، وَطَلْحَـةُ فِي الجَنَّـةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَـعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»(١).

والثاني: سعد بن أبي وقاص الذي قال له النبي ﷺ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»، فعن علي ﷺ قال: «**مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ يَا سَعْدُ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»(٢).

وثالثهم: عبد الرحمن بن عوف الذي جـاء في فضـائله قـول النبـي ﷺ: «**اللَّهُمَّ اسْقِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ مِنْ سَلْسَبِيلِ الجَنَّةِ**»(٣).

---

(١) جامع الترمذي (٥/ ٦٤٧) رقم (٣٧٤٧)، ومسند أحمد (١/ ١٩٣) رقم (١٦٧٥).
(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٦٤) رقم (٢٧٤٩)، ومسلم (٤/ ١٨٧٦) رقم (٢٤١١).
(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٢٩٩) رقم (٢٦٦٠١)، والترمذي (٥/ ٦٤٨) رقم (٣٧٤٩).

.....

رابعهم: طلحة بن عبيد الله وقد جاء في فضله حديث مسلم عن أبي هريرة: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتْ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**»(١).

خامسهم: عامر بن الجرَّاح المعروف بأبي عبيدة قال ﷺ: «**لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ فَاسْتَشْرَفَ لَهُ النَّاسُ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ**»(٢).

سادسهم: **الزبير** الذي قال عنه الناظم (الممدح)، وقد قال النبي ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ**»(٣).

فهؤلاء هم الرهط العشرة الذين عناهم الناظم في هذه الأبيات وقد جمعهم في بيت واحد أحد العلماء، حيث قال:

للمصطفى خير صحب نص إنهم ... في جنة الخلد نصًا زادهم شرفا

هم طلحة وابن عوف والزبير مع ... أبي عبيدة والسعدان والخلفا

في البيت الأول ذكر أن النبي ﷺ نص على أنهم في الجنة وفي البيت الثاني ذكرهم بأسمائهم.

❑ هل يشهد لأحد بالجنة غير العشرة؟

الجواب: نعم، كل من شهد له النبي ﷺ بالجنة نشهد له: كالحسن، والحسين، وثابت بن قيس، وعكاشة بن محصن، وعبد الله بن سلام(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٤٨) رقم (٣٤٨٣)، ومسلم (٤/ ١٨٨٠) رقم (٢٤١٧).
(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٩٢) رقم (٤١٢٠)، ومسلم (٤/ ١٨٨٢) رقم (٢٤٢٠).
(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٢٧) رقم (٢٨٤٧) ومسلم (٤/ ١٨٧٩) رقم (٢٤١٥).
(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ٣١٣).

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ ولا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ المبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الْفَتْحِ آيٌ للصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

○**قوله:** «**وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ**» في هذا البيت تحدث الناظم عن فضل الصحابة ونهى عن الطعن فيهم، نقل الخطيب في الكفاية[1] عن أبي زرعة أنه قال: «إذا رأيت أحدًا ينتقص أحدًا من صحابة رسول الله، فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول حق والقرآن حق، وإنما أدى الكتابَ والسنةَ أصحابُ رسول الله ﷺ، ثم قال: وهم يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة».

○**قوله:** «**وَفِي الْفَتْحِ**» الفتح أي سورة الفتح، وهم كما قال الله عنهم في أول سورة الفتح وفي وسطها وآخرها.

أما أولها: فقوله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٥].

وأما وسطها: فقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

وأما آخرها: فقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح:٢٩].

---

(١) الكفاية في علم الرواية ص (٩٧).

وَبِالْقَــدَرِ المقْــدُورِ أَيْقِــنْ فَإِنَّــهُ دِعَامَـةُ عِقْـدِ الـدِّينِ، والـدِّينُ أَفْـيَحُ

وقد استدل الإمام مالك رحمه الله بهذه الآية الأخيرة على كفر الروافض، لأن الله قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ ولا يرتاب في الصحابة ويبغضهم إلا من كان كافرًا، وأشد الخلق بغضًا للصحابة هم هذه الطائفة كفانا الله شرهم.

○**قوله**: «**وَبِالْقَدَرِ المقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ**» في هذا البيت يتحدث الناظم عن مسألة القدر، **والقدر**: هو الركن السادس من أركان الإيمان بالله، وقد جاء النص عليه في حديث جبريل الشهير: «**قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

والإيمان بالقدر: هو الإيمان بعلم الله تعالى وبتقديره للأمور قبل حدوثها وبأفعال الله تعالى وإرادته ومشيئته وخلقه وإيجاده.

وقد جاء ذكر القدر في الكتاب العزيز في عدة آيات من القرآن الكريم منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

مسائل متعلقة بهذا الباب :

□ المسألة الأولى: هل القدر هو القضاء أم بينهما فرق؟

الجواب: كلام أهل العلم يدل على أنه لا فرق بينهما، وإن كان القضاء أعم من القدر، فالقضاء يأتي بمعنى القدر أي أن الله قدر الأشياء، ويأتي القضاء بمعنى أعم وهو الحكم بين الناس والفصل بينهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس:٩٣] والنبي ﷺ يقول كما في الصحيحين: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٦) رقم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري (٩/ ٢) رقم (٦٨٦٤)، وصحيح مسلم (٣/ ١٣٠٤) رقم (١٦٧٨).

.....

❑ المسألة الثانية: ما هي مراتب القدر؟

الجواب: له أربع مراتب:

١) مرتبة العلم:

المراد بها: الإيمان بأن الله علم بما كان، وبما يكون، وما سيكون، وما لم يكن، لو كان كيف يكون، قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران:٥]، ويقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، فلا يمكن أن يقع في الكون شيء إلا الله عالم به.

٢) مرتبة الكتابة:

والمراد بها: الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء، وجاء التصريح بهذا في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»(١).

٣) مرتبة المشيئة والإرادة:

والمراد بها: الإيمان بأن الله تعالى أراد الأشياء وشاء وقوعها وأنه لا يقع شيء إلا بمشيئته وإرادته، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج:١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠].

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٤٤) رقم (٢٦٥٣).

.....

٤) مرتبة الخلق والإيجاد[١]:

والمراد بها: الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الذي خلق الأشياء وأوجدها، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر:٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

□ المسألة الثالثة: هل الأخذ بالأسباب ينافي الإيمان بالقدر؟

الجواب: فعل الأسباب والأخذ بها من تمام الإيمان بالقدر، ونصوص الكتاب والسنة حافلة باتخاذ الأسباب المشروعة في مختلف شؤون الحياة فقد أمر الله بالسعي في الأرض وطلب الرزق فقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾[الجمعة:١٠]، وقال: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾[الملك:١٥]، وأمر المسافرين بالتزود للحج: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾[البقرة:١٩٧]، وأمر بإعداد العدة للعدو: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٦٠]، وأمر مريم عليها السلام حين ولدت بهز جذع النخلة: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم:٢٥].

يقول شيخ الإسلام: «وإذا ترك العبد ما أمر به مُتَّكِلًا على الكتاب - يعني القدر - كان ذلك من المكتوب المقدور الذي يصير به شقيًا وكان قوله ذلك بمنزلة من يقول: أنا لا آكل ولا أشرب، فإن كان الله قضى بالشبع والري حصل وإلا لم يحصل أو يقول لا أجامع امرأتي فإن كان الله قضى لي بولد فإنه يكون ... فكل هؤلاء جاهلون ضالون» إلى أن قال: «الأمور أمران: أمر فيه حيلة وأمر لا حيلة فيه فما فيه حيلة لا يعجز عنه، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه»[٢].

---

(١) انظر: شفاء العليل ص (٥٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٨٤-٢٨٥).

.....

❑ إشكالات وشبه حول القدر:

إذا سأل سائل فقال: نحن نؤمن بالقدر خيره وشره من الله، فهل تصح نسبة الشر إلى الله تعالى؟ وهل يقع في أفعاله شر؟

الجواب: أولًا: إن الله سبحانه وتعالى منزه عن الشر، ولا يفعل إلا الخير، فالشر ليس إلى الرب بوجه من الوجوه، لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، وإنما الشر يدخل في مخلوقاته، فالشر في المقضي، لا في القضاء.

ثانيًا: ما يقيده الله قد يكون شرًا من وجه خيرًا من وجه، كالقصاص، وإقامة الحدود، وقتل الكافر، فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه، وخير بالنسبة إلى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر، والنكال، ودفع الناس بعضهم ببعض، وكذلك الأمراض وإن كانت شرورًا من وجه فهي خير من وجوه عديدة.

والحاصل أن الشر المحض الذي لا خير فيه بوجه من الوجوه لا ينسب إلى الله؛ ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان يثني على ربه بتنزيهه عن الشر بدعاء الاستفتاح في قوله: «**لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ**»(١).

قال ابن القيم تعليقًا على هذا الحديث: «فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه بل كل ما نسب إليه فهو خير»(٢).

وقال سبحانه في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن:١٠]، تأدبوا مع الله ولم ينسبوا الشر إليه.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٣٤) رقم (٧٧١).

(٢) شفاء العليل ص (١٧٩).

إذا قيل كيف يريد الله أمرًا، وفي الوقت نفسه لا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يجمع بين إرادته له وبغضه وكراهته؟ ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزُّمَر:٧].

فالجواب: أن المراد نوعان: مراد لنفسه، ومراد لغيره، فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته لما فيه من الخير كالصلاة، والمراد لغيره قد لا يكون مقصودًا لما يريد، ولا فيه مصلحة بالنظر إلى ذاته، كتقدير الفسق والفواحش والمعاصي والكفر فقد قدر سبحانه حصول ذلك وهو لا يحبه للمصالح التي وراء ذلك كالدواء الكريه الطعم إذا علم الإنسان أن فيه شفاءه أحبه من وجه وإن كان يبغضه من وجه آخر، وقل مثل ذلك في العضو المتآكل من الجسد بما يُسمى (الغرغرينا) إذا علم أن في قطعه بقاء لجسده، وكقطع الطريق الشاق إذا علم أنه يوصله إلى مراده، كالذي يقطع الفيافي والمفاوز والقفار قاصدًا البيت العتيق.

ومن هنا يتبين لنا أن الشيء يجتمع فيه الأمران: بغض من وجه، وحب من وجه آخر، ولنضرب على ذلك مثالين مع بيان الحكمة من ذلك:

الأول: خلق إبليس والحكمة من ذلك:

فقد خلق الله عز وجل إبليس الذي هو مادة الفساد التي تمد كل فساد في هذ الدنيا في الأديان والاعتقادات والشهوات والشبهات، وهو سبب من أسباب شقاء العباد، وعملهم بما يغضب الله عز وجل وهو مع ذلك وسيلة إلى محبوبات كثيرة وحكم عظيمة.

وقبل الحديث عن تلك الحكم يجدر بنا أن نتنبه إلى أمر مهم وهو أنه لا يلزم من إثبات تعليل أفعال الله بالحكم والمصالح، العلم بعلة كل فعل وكل أمر؛ بل الواجب على المسلم أن يعتقد أن لله تعالى في جميع أفعاله حكمًا جليلة.

.....

والله عز وجل لم يطلع خلقه على جميع حكمه بل أعلمهم بما شاء وما خفي عليهم أكثر مما علموه، فيجب على المسلم أن يعتقد أن أفعال الله وأوامره لا تخلو من الحكم الباهرة التي تحير العقول وقد تدركها أو لا تدركها.

❑ حِكَم الله في خلق إبليس:

إذا تأملنا في خلق إبليس لوجدناها من ورائه حكمًا كثيرة:

الحكمة الأولى: أن يظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتاضادات والمتقابلات فخلق هذه الذات (إبليس) الذي هو من أخبث الذوات، وسبب كل شر، وخلق في مقابلها ذات جبريل التي هي من أشرف الذوات وأزكاها والتي هي مادة كل خير فتبارك من خلق هذا وهذا، كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والداء والدواء، والموت والحياة، والحسن والقبح، فالضد يظهر حسنه الضد، وهذا أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه.

الحكمة الثانية: أن يكمل لأوليائه مراتب العبودية، وذلك بمجاهدة إبليس وحزبه، وإغاظته بالطاعة لله، والاستعاذة بالله منه، ولجؤهم إلى الله أن يعيذهم منه ومن كيده.

فظهر بذلك أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب أنواع العبودية لله، وهذه إنما تتحقق بالجهاد وبذل النفس وتقديم محبته على محبة كل من سواه، فكان خلق إبليس سببًا لوجود هذه الأمور.

الحكمة الثالثة: خلق الله إبليس ليكون مركز امتحان يمتحن به الخلق ليتبين الخبيث من الطيب.

.....

الحكمة الرابعة: ظهور آثار أسمائه تعالى ومقتضياتها، ومتعلقاتها، فمن أسمائه: الرافع، الخافض، المعز، المذل، الحكم، العدل.

وهذه الأسماء تستدعي متعلقات تظهر فيها أحكامها، فكان خلق إبليس سببًا لظهور آثار هذه الأسماء، فلو كان الخلق كلهم مطيعين، ومؤمنين لم تظهر آثار هذه الأسماء.

❑ ما الحكمة من إنظار الله إبليس؟

الجواب: ليس إكرامًا له بل إهانة له ليزداد إثمًا ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران:١٧٨]، فتعظم عقوبته، ويتضاعف عذابه، إضافة إلى ذلك جعله الله محكًا ليميز به الخبيث من الطيب وهذا يقتضي بقاءه ببقاء خلق البشر.

المثال الثاني: خلق المصائب والآلام والحكمة من ذلك:

خلق الله الآلام والمصائب وفيها من الحِكَم ما لا يُحِيطُ بعلمه إلا الله عز وجل تلك الحكم التي تنطق بفضل الله وعدله ورحمته ومنها:

١- أن في الآلام والمصائب امتحانًا لصبر المؤمن.

٢- أن فيها تدريبًا له وتقويةً لإيمانه.

٣- أن فيها دليلًا على ضعف الإنسان وافتقاره الذاتي إلى ربه ولا فلاح له إلا بافتقاره إلى ربه وانطراحه بين يديه.

٤- المصائب سبب لتكفير الذنوب ورفع الدرجات قال ﷺ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ المؤْمِنَ حَتَّى الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ**»(١).

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٢) رقم (٢٥٧٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

.....

٥- أنها سبب في حصول الأجر للمريض والطبيب المعالج.

٦- أنَّ هذه الآلام منها ما يكون سببًا لصحة الجسم كما قال المتنبي:

لَعَــلَّ عَتْبَــكَ مَحْمُــودٌ عَوَاقِبُــهُ فَـرُبَّمَا صَـحَّتِ ٱلأَجْسَـامُ بِٱلعِلَـلِ

٧- معرفة فضل الصحة والعافية وأن تقدر حق قدرها إلى غير ذلك من الحكم التي يعلمها بعض الناس وتخفى على كثير منهم.

ومن هنا يتضح لنا أنه لا تنافي بين إرادة الله لأمر من الأمور مع بغضه له؛ لما له عز وجل من الحكم العظيمة الباهرة.

❑ هل يجب الرضا بكل ما قدره الله؟

الجواب: نحن غير مأمورين بالرضا بكل ما يقضيه الله ويقدره ولم يرد بذلك كتاب ولا سنة، كما قال بذلك أهل العلم[1]، ولهم في ذلك كلام طويل خلاصته أن الله لم يرض لنا أن نكفر ونعصي فعلينا أن نوافق ربنا في رضاه وسخطه قال الله تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾ [الزُّمَر:٧]، فالدين موافقة ربنا في كراهة الكفر والفسوق والعصيان مع تركها، وموافقته في محبة الشكر والإيمان والطاعة لنا مع فعلها.

❑ هل الإنسان مسير أم مخير؟

هذا السؤال يرد كثيرًا والسائل يريد أن تقول له: إما مسير أو مخير، والحقيقة أنَّ السؤال خطأ في ذاته، وما كان كذلك فلا يجاب عنه إجابة مباشرة، بل لا بد من التصحيح، والخطأ في هذا السؤال أنه لم يرد عن السلف الصالح مثل هذا السؤال في كتبهم، بل ورد في كتب الفلاسفة وغيرها.

---

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٠٥)، وشرح العقيدة الطحاوية ص (٢٥٨).

.....

والصواب في السؤال أن يكون بهذه الصيغة: هل للعبد مشيئة وقدرة أم لا؟

والجواب نجده واضحًا جليًا في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨،٢٩]، فنثبت للعبد مشيئةً يختار بها، وقدرة يفعل بها، ومشيئته وقدرته واقعتان بمشيئة الله تابعتان لها فلو كان مخيرًا لفعل كل ما شاءه ولوكان مسيرًا لما كان له قدرة ومشيئة أبدًا.

وبهذا يزول هذا الإشكال، ومن هنا أيضًا يتبين لنا خطأ بعض من يكتب في هذه المسألة ويصدرون كتاباتهم بذلك السؤال: هل الإنسان مسير أم مخير؟

❑ أخطاءٌ في باب القدر:

هناك أخطاء يقع فيها بعض الناس في باب القدر، ومن هذه الأخطاء ما يلي:

١- **الاحتجاج بالقدر على المعائب والمعاصي**: فبعض الناس إذا قيل له مثلًا لم لا تصلي؟ فيقول: ما أراد الله أن أصلي، وهذا احتجاج باهت باطل، فإن الله قد جعل للعبد قدرة ومشيئة.

٢- **قول بعض الناس: إن الله على ما يشاء قدير**، وهذا القول فيه إيهام، والأَوْلى أن يقال: (إن الله على كل شيء قدير) لعموم قدرته عز وجل لما شاءه وما لم يشأه أشار إلى ذلك العلامة عبد الرحمن بن حسن، والعلامة محمد بن إبراهيم رحمهما الله تعالى.

وأما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٢٩]، فالقيد بـ (إذا يشاء) ليس متعلقًا بالقدرة وإنما يعود إلى الجمع في قوله جمعهم، والله سبحانه وتعالى إذا وصف نفسه بالقدرة لم يقيد ذلك بالمشيئة كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[البقرة:١٠٦].

.....

٣- قول بعض الناس إذا سمع بوفاة أحد: هل توفي بسبب أم قضاءً وقدرًا؟

وهذا خطأ، فالذي مات بسبب مات بقضاء الله وقدره، والذي مات بغير سبب فهو أيضًا بقضاء الله وقدره.

٤- الاعتراض على الأقدار: كقول بعضهم إذا أصيب بمصيبة ماذا فعلتُ يا ربي؟ أو أنا لا أستحق هذه العقوبة، وهذا من الاعتراض الذي لا يجوز، فالله عز وجل له ما أخذ وله ما أعطى ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣].

٥- شق الجيوب ولطم الخدود والنياحة ورفع الصوت وكذلك حلق الشعر والدعاء بالويل إذا نزلت مصيبة: وقد وردت عدة نصوص تنهى عن ذلك منها: قوله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**»(١).

٦- قول كلمة (لو) عندما تحل مصيبة إذا كان الحامل على ذلك الضجر والحزن وضعف الإيمان بالقدر، وهذا من الأخطاء في باب القدر، وهو جهل ونقص في العقل، فالعبد مأمور عند المصائب بالصبر والاسترجاع والتوبة وقول (لو) لا يجدي عليه إلا الحزن والتحسر، وقد نعى الله عز وجل على المنافقين مقولتهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨١) رقم (١٢٩٤)، و مسلم (١/ ٩٩) رقم (١٠٣) من حديث عبد الله ابن مسعود ﷺ.

ومقولة: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران:١٦٨]، فرد الله عليهم وعلى أمثالهم في الآية نفسها بقوله: ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، وسيأتي مزيد تفصيل في أحكام قول (لو) في شرح كتاب التوحيد.

٧- **قول كلمة (ليت)**: وهي من جنس كلمة (لو) فـ(لو) و(ليت) لا تجديان بعد حصول الأمر المقدر، بل الواجب حينئذٍ التسليم والإيمان بالله، والتعزي بقدره مع حسن الرجاء بثوابه، فذلك عين الفلاح في الدنيا والآخرة، وصدق من قال:

ليت شعري وأين مني ليت ... إن ليتًا وإن لوًا عناءُ

٨- **الدعاء بـ«اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه»**: فهذا الدعاء خطأ والصواب أننا نسال الله رد القضاء كما في الدعاء المشهور: «**وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ**»(١)، و«**كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الـبَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ**»(٢)، وقد بوب البخاري في صحيحه بابًا بعنوان: باب التعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفَلَق:١،٢]، ثم ساق قول النبي ﷺ: «**تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ**»(٣)(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٣) رقم (١٤٢٥)، والترمذي (٢/ ٣٢٨) رقم (٤٦٤)، وابن ماجه (١/ ٣٧٢) رقم (١١٧٨)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٧٥) رقم (٦٣٤٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٨٠) رقم (٢٧٠٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) صحيح البخاري (٨/ ١٢٦) رقم (٦٦١٦).

(٤) ينظر في هذه المسائل كتاب الإيمان بالقضاء والقدر لمحمد بن إبراهيم الحمد ص (١١٠) وما بعدها.

.....

❑ المسألة الرابعة: الطوائف التي ضلت في باب القدر؟

ضلَّ في هذا الباب طائفتان:

الطائفة الأولى: القدرية: وهم الذين ينفون القدر.

وأول من ابتدع هذه البدعة، معبد الجهني الذي تبرأ منه الصحابة ﷺ كعبد الله بن عمر ﷺ وغيره.

وتبعه على هذا المذهب الباطل (عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء) وقد اعتزلا مجلس الحسن البصري حينما لم يقل الحسن بقولهما، ومن هذا الباب سموا معتزلة، وقال عنهم بعض الأئمة كقتادة: (أولئك معتزلة) والمعتزلة قدرية، ينفون القدر تبعًا للقدرية، والشيعة الزيدية قدرية تبعًا للمعتزلة.

وهم نفاة مقتصدون فقد أنكروا المشيئة وخلق الفعل، أما النفاة الغلاة فقد نفوا المرتبة الأولى وهي العلم.

الطائفة الثانية: الجبرية: الذين يقولون: إن العبد ليس له اختيار ولا مشيئة، بل هو مجبور على أفعاله وأقواله، والجهمية جبرية في هذا الباب، وهم أتباع الجهم بن صفوان وكما سبق أن رأس الجهمية هو (الجهم بن صفوان).

والجبرية قسمان:

١. جبرية خالصة وهم الجهمية.

٢. جبرية غير خالصة وهم الأشاعرة والماتريدية.

ولا تُنْكِـرَنْ جَهْـلًا نَكِـيرًا وَمُنْكَـرًا ولا الحـوْضَ وَالْمِـيزَانَ إِنَّـكَ تُنْصَـحُ

والفرق بين جبر الجهمية وجبر الأشاعرة، أن جبر الجهمية جبر خالص؛ لأنهم لا يثبتون للعبد فعلًا ولا قدرة أصلًا، وأما جبر الأشاعرة فهو جبر مبطن؛ لأنهم يثبتون للعبد قدرة لكنها غير مؤثرة وينسبون الفعل إليها وهذا هو الكسب عند الأشعري، والخلاف بينهم لفظي[1].

❑ ما الفرق بين القدرية والجبرية؟

كلاهما قد غلا في هذا الباب، فالقدرية غلو في نفي القدر، والجبرية غلو في إثبات القدر.

والمذهب الحق في هذه المسألة: مذهب أهل السنة والجماعة الذين توسطوا وقالوا: إن العبد له مشيئة واختيار لكن تحت مشيئة الله تعالى، فالعبد ليس مستقلًا بمشيئته، ولهذا قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨، ٢٩].

فقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾: رد على الجبرية.

وقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: رد على القدرية.

فالله عز وجل أراد الخير والشر بمشيئته الكونية، ولم يرض من العبد الكفر والمعاصي شرعًا وديناً[2].

○قوله: «ولا تُنْكِرَنْ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا * ولا الحوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ»

سبق الكلام عن هذه المسائل: منكر ونكير والحوض والميزان في شرح اللامية.

---

(١) ينظر: التوضيحات الأثرية لمتن الرسالة التدمرية ص (٤٣٤).

(٢) التوضيحات الجلية (٢/ ٦٠٤).

وقُــلْ: يُخْــرِجُ اللهُ الْعَظِـيمُ بِفَضْــلِهِ مِنَ النَّـارِ أَجْسَـادًا مِـنَ الفَحْـمِ تُطْـرَحُ

هذا البيت في مسألة عصاة المؤمنين وحكمهم في الآخرة، وعصاة المؤمنين كما لا يخفى هم: من كانوا موحدين لكن توحيدهم ناقص، ويشمل ذلك أهل الكبائر وغيرهم.

ومذهب أهل السنة والجماعة: أنهم تحت المشيئة إن شاء الله غفر لهم وإن شاء عذبهم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، فهم تحت المشيئة إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، فهم مستحقون للعذاب، وأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

والخلاصة: أن مصير هؤلاء في النهاية دخول الجنة وعدم التخليد في النار بينما يخلد فيها الكفار والمشركون والمنافقون النفاق الأكبر المخرج من الملة.

❑ مسألة: ما هي الطوائف التي ضلت في مسألة عصاة المؤمنين؟

ضل في هذا طائفتان:

١) **الخوارج**: الذين يكفرون مرتكب الكبيرة ويخرجونه من الملة، ويقولون: هو خالد مخلد في النار كالكافر، يعني: لا فرق بين إنسان عاق لوالديه وبين الكافر.

٢) **المعتزلة**: وهم الذين يخرجون العصاة من الإيمان ولا يدخلونهم في الكفر، ويقولون: لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين، إن مات من غير توبة فهو مخلد في النار.

وهاتان الطائفتان قد ضلتا في هذا الباب، وخالفوا بذلك القرآن، والرد عليهم في أربع كلمات من القرآن قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، فهذه الآية فيها الرد على هاتين الطائفتين.

عَـلى النَّهْـرِ فِي الفِـرْدَوْسِ تَحْيَـا بِمَائِـهِ كَحِبِّ حَمِيـلِ السَّـيْلِ إِذْ جَـاءَ يَطْفَـحُ

وجه الرد عليهم: أن ما دون الشرك تحت المشيئة، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، وهذا لا يكون في حق الكفار، بل هو في حق عصاة المؤمنين.

○**قوله**: «**عَلى النَّهْرِ فِي الفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ**» أي: العصاة يعذبون على قدر معاصيهم وذنوبهم إلى أن يصيروا فحمًا وحممًا، ثم هذه الأجساد تطرح على نهر الحياة في الفردوس فتحيا بمائه كما تنبت الحبة في حميل السيل.

○**قوله**: «**كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ**» وفي بعض النسخ: «**كَحِبة حَمِيلِ السَّيْلِ**» وهما بمعنى واحد، أي: الحبة التي يحملها السيل.

والناظم في هذا البيت يشير إلى ما جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الجَنَّةِ ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»[1].

والمعنى أن من شاء الله تعالى تعذيبهم من عصاة الموحدين يأذن الله تعالى بالشفاعة لهم بعد ما يكونوا فحمًا فيجاء بهم جماعات، فيُلْقَوْن في نهر من أنهار الجنة يعرف بنهر الحياة، فإذا وضعوا في هذا النهر أحياهم الله كما تحيا البذرة التي تكون في مجرى السيل فتنبت وتكبر بعد ذلك، وبعد ما يطرحوا في نهر الحياة تحيا أجسادهم وتنبت ثم إذا نقوا دخلوا الجنة، لأن الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة نقية.

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٧٢) رقم (١٨٥).

وإِنَّ رَسُــولَ الله للخَلْــقِ شَــافِعٌ .....

○قوله: «**وإِنَّ رَسُولَ الله للخَلْقِ شَافِعٌ**» في هذا البيت يتحدث الناظم عن الشفاعة التي تكون للنبي الكريم ﷺ.

ولأهمية موضوع الشفاعة، ولأن أهل البدع خالفوا أهل السنة في هذه المسألة فسأفصل فيها:

فالشفاعة: هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، ويطلق هذا التعريف على الشفاعة سواءً كانت في أمور الدنيا أو الآخرة.

والشفاعة في الدنيا: تجري بين الناس وتكون حسنة وتكون سيئة، فالشفاعة لدى الآخرين من أجل تخليص الحقوق أو درء المظالم، أو نحو ذلك من حاجات الناس المباحة سعي مشكور وعمل مبرور، بخلاف الشفاعة في إبطال الحقوق أو إقرار الباطل، أو تعطيل حد، فجهد مذموم وعمل مردود.

وقد دلت النصوص الشرعية على ما تقدم، قال الله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء:٨٥].

ومن الأدلة من السنة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي الله عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ**»[1].

(١) صحيح البخاري (٢/ ١١٣) رقم (١٤٣٢)، وصحيح مسلم (٤/ ٢٠٢٦٦) رقم (٢٦٢٧).

.....

وما جاء في الصحيحين عن عائشة ﵂ أن قريشًا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة، فقال: رسول الله ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله**»، ثم قام فخطب، فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحدَّ، وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»(١).

وأما الشفاعة في الآخرة:

فقد تضافرت الأدلة على إثباتها وأنها تكون على أنواع، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وأجمع على إثباتها السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

وقد ورد لفظ الشفاعة وما اشتق منه في القرآن الكريم ستًا وعشرين مرة، من ذلك قول الله في سورة البقرة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وفي سورة الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

وفي سورة يونس قوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس:٣].

وفي سورة طه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩].

وفي سورة النجم قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦].

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٧٥) رقم (٣٤٧٥)، وصحيح مسلم (٣/ ١٣١٥) رقم (١٦٨٨).

.....

❑ ما الفرق بين ذكر الشفاعة في القرآن وذكرها في السنة؟

تكرر ذكر الشفاعة كثيرًا في الأحاديث النبوية الشريفة، وإذا كان القرآن الكريم قد أكد على الشروط والضوابط للشفاعة عند الله تعالى يوم القيامة، فإن السنة قد شرحت أنواع الشفاعة وصفتها، والشفعاء والمشفوع لهم.

وأحاديث الشفاعة صحيحة وصريحة في إثبات الشفاعة يوم القيامة، وهي كثيرة جدًا بلغت حد التواتر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أحاديث الشفاعة كثيرة متواترة، منها في الصحيحين أحاديث متعددة، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده»(١).

وأنشد بعضهم:

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبْ

وَمَنْ بَنَى اللهِ بَيْتًا وَاحْتَسَبْ

وَرُؤْيَةٌ شَفَاعَةٌ وَالْحَوْضُ

وَمَسْحُ خُفَّيْنِ وَهَذِي بَعْضُ

وثمة نماذج من أحاديث الشفاعة الثابتة عن رسول الله ﷺ منها ما جاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فَاسْتُجِيبَ، فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢).

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ...**»(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣١٤).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ٦٧) رقم (٦٣٠٥)، وصحيح مسلم (١/ ١٩٠) رقم (١٩٩).

(٣) صحيح مسلم (١/ ١٨٩) رقم (١٩٩).

.....

وليس معنى ذلك أن النبي ﷺ ليس له إلا هذه الدعوة المستجابة، بل قال أهل العلم: «معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم».

ومن أحاديث الشفاعة ما جاء في الصحيحين أيضًا عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي**»، وذكر منها: «**وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**»(١).

وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»(٢).

هذه نماذج من أحاديث الرسول ﷺ في الشفاعة.

وأما الإجماع: فقد أجمع السلف الصالح من أهل السنة والجماعة على إثبات الشفاعة يوم القيامة وفق ما ورد في النصوص الشرعية من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

ولم ينكر الشفاعة أو بعض أنواعها إلا المبتدعة.

قال أبو حاتم وأبو زرعة رحمهما الله تعالى: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار ... فكان من مذهبهم أن الشفاعة حق»(٣).

ومن الشواهد أيضًا على اتفاق أهل السنة على إثبات الشفاعة يوم القيامة أن المصنفين من أئمة أهل السنة وعلمائهم الذين ألّفوا كتبًا أو رسائل في العقيدة قد نصوا على الشفاعة وأثبتوها ومنهم:

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٧٤) رقم (٣٣٥)، وصحيح مسلم (١/ ٣٧٠) رقم (٥٢١).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٢) رقم (٢٢٧٨).

(٣) عقيدة أبي حاتم الرازي وأبي زرعة ص (١٩٩).

.....

١- ابن خزيمة في كتاب التوحيد.
٢- أبو جعفر الطحاوي في عقيدته.
٣- الآجري في الشريعة.
٤- ابن بطة في الإبانة.
٥- اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.
٦- الصابوني في عقيدة السلف.
٧- الأصبهاني في كتاب الحجة في بيان المحجة.

وعند استقراء أحاديث الرسول ﷺ في الشفاعة يتبين أنها تتنوع من حيث الشفعاء، ومن حيث نوع الشفاعة، كما سيأتي.

❑ أنواع شفاعة الرسول ﷺ:

النوع الأول: الشفاعة العظمى:

وهي الشفاعة الأولى الخاصة بالنبي محمد ﷺ حينما يطول الموقف على الناس في الحشر ويشتد بهم الكرب وتدنو منهم الشمس وهم حفاة عراة ويأخذ منهم العرق كل مأخذ في هذا الموقف العظيم الذي قال الله عنه: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]، فيشفع النبي ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وذلك حين يتوسل الناس يوم القيامة إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم الصلاة والسلام من أجل الشفاعة عند الله ليقضي بين خلقه؛ فيتدافع الشفاعة بعد آدم أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيشفع عند ربه عز وجل لأهل الموقف.

.....

وهذه الشفاعة أعظم الشفاعات كلها؛ ولهذا تسمى الشفاعة العظمى، فهي شفاعة عامة لجميع أهل الموقف، على اختلاف أديانهم.

وهذه الشفاعة هي المقام المحمود - على قول أكثر العلماء - الذي وعد الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[الإسراء:٧٩].

ومما يدل على الشفاعة العظمى ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لحم**»، وقال: «**إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يَبْلُغَ العَرَقُ نِصْفَ الأُذُنِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ**[(١)]**، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الخَلْقِ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ البَابِ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ الله مَقَامًا مَحْمُودًا، يَحْمَدُهُ أَهْلُ الجَمْعِ كُلُّهُمْ**»[(٢)].

وأخرج البخاري أيضًا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «**إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا**[(٣)]**، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ الله المَقَامَ المَحْمُودَ**»[(٤)].

---

(١) أي: طلبوه.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٢٣) رقم (١٤٧٤) ومسلم (٢/ ٧٢٠) رقم (١٠٤٠).

(٣) أي: جماعات.

(٤) صحيح البخاري (٦/ ٨٦) رقم (٤٧١٨).

.....

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: أُتي رسول الله ﷺ يومًا بلحم، فرُفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهش منها نهشة فقال: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ**»[1]

(١) المراد التوريات وكانت لحاجة.

.....

- فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ، مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ الله، فَضَّلَكَ الله بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ الله وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ الله عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1].

(١) صحيح البخاري (٦/ ٨٤) رقم (٤٧١٢)، وصحيح مسلم (١/ ١٨٤) رقم (١٩٤).

.....

ولقد استدل ابن خزيمة بهذا الحديث على ثبوت الشفاعة العظمى لأهل الموقف لأجل الحساب.

النوع الثاني: الشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها:

جاء في صحيح مسلم عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال النبي ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ**»(١).

وفي مسلم أيضًا عن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتِي بَابَ الجنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ، فَيَقُولُ الخازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»(٢).

وهذان الحديثان ونحوهما تدل على أن النبي ﷺ أول الشفعاء لأهل الجنة في دخولها.

ومن هذا الوجه فإن هذا النوع من الشفاعة خاص بالنبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه الشفاعة والتي قبلها: «وهاتان الشفاعتان خاصتان له ﷺ»(٣).

وكما أن نبينا ﷺ أول من يستفتح باب الجنة فيفتح له، كما تقدم، فإن أول من يدخل الجنة من الأمم أمته ﷺ، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجنَّةَ...**»(٤).

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٨٨) رقم (١٩٦).

(٢) صحيح مسلم (١/ ١٨٨) رقم (١٩٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٧).

(٤) صحيح مسلم (٢/ ٥٨٥) رقم (٨٥٥).

.....

النوع الثالث: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه:

وهذه الشفاعة تكون من النبي ﷺ لعمه أبي طالب:

ودليلها ما جاء في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال: «**يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ[1] مِنْ نَارٍ، لَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[2].

وفي الصحيحين أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ**»[3].

ويدل حديث العباس السابق أن سبب شفاعة الرسول ﷺ لعمه في تخفيف العذاب هو دفاعه عن الرسول ﷺ ونصرته له؛ ولذا كان أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة، كما جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**»[4].

وينبغي أن نعلم هنا أن هذه الشفاعة التي نفعت أبا طالب، مع كونه كافرًا شفاعة تخفيف فقط، لا شفاعة إخراج من النار.

---

(١) الضَّحْضاحُ في الأصل: ما رَقَّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين واستعاره للنار. ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٦)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٧٥).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ٤٦) رقم (٦٢٠٨)، وصحيح مسلم (١/ ١٩٤) رقم (٢٠٩).

(٣) صحيح البخاري (٥/ ٥٢) رقم (٣٨٨٥)، وصحيح مسلم (١/ ١٩٥) رقم (٢١٠).

(٤) صحيح مسلم (١/ ١٩٦) رقم (٢١٢).

.....

النوع الرابع: في رفع درجات من يدخل الجنة:

والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، وفيه أن رسول الله ﷺ بعث عمه أبا عامر ﷺ على جيش إلى أوطاس، فرمي أبو عامر بسهم في ركبته فقال لأبي موسى: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي، ثم مات ﷺ ثم رجع أبو موسى إلى النبي ﷺ وأخبره خبر أبي عامر، وقال له: إن أبا عامر يقول لك استغفر لي، فدعا رسول الله ﷺ بماء، فتوضأ منه، ثم رفع يديه، ثم قال: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ - وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ - ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ مِنَ النَّاسِ، فَقُلْتُ: وَلِي، يَا رَسُولَ الله فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ الله بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا**»[(١)].

وقد استدل بهذا الحديث عدد من الأئمة كابن كثير[(٢)] وغيره، على هذا النوع من الشفاعة، والمقصود أن النبي ﷺ هنا دعا لأبي عامر في رفع درجته في الجنة.

النوع الخامس: الشفاعة في دخول الجنة بلا حساب:

يدل عليه ما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، هَؤُلاَءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لاَ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قُدَّامَهُمْ**

(١) صحيح البخاري (٥/ ١٥٥) رقم (٤٣٢٣)، وصحيح مسلم (٤/ ١٩٤٣) رقم (٢٤٩٨).
(٢) النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٢٠٦).

.....

لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لاَ يَكْتَوُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ قَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[1].

وفيهما عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ» فقامة عكاشة ... الحديث[2].

النوع السادس: الشفاعة في أهل الكبائر:

المراد بأهل الكبائر: العصاة من أهل التوحيد، الذين دخلوا النار بذنوبهم، فيشفع فيهم الرسول ﷺ وغيره لإخراجهم من النار بعد دخولها.

يدل عليه حديث أنس في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ الله، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ الله، وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ،

(١) صحيح البخاري (٨/ ١١٢) رقم (٦٥٤١)، وصحيح مسلم (١/ ١٩٩) رقم (٢٢٠).
(٢) صحيح البخاري (٨/ ١١٣) رقم (٦٥٤٢)، وصحيح مسلم (١/ ١٩٧) رقم (٢١٦).

.....

وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ»[1].

من يشفع غير النبي محمد ﷺ؟:

الجواب: قد أعطى الله الشفاعة لغير محمد ﷺ كما جاءت بذلك النصوص، والذين يشفعون هم:

١- الملائكة.

٢- الأنبياء عليهم السلام.

٣- المؤمنون.

٤- الشهداء.

٥- أولاد المؤمنين، كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: في أطفال المؤمنين الذين يموتون صغار: «**صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ**[2] **الْجَنَّةِ**»[3].

٦- مما يشفع القرآن يشفع لصاحبه.

٧- ومما يشفع أيضًا الصيام يشفع لصاحبه.

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ١٤٦) رقم (٧٥١٠)، وصحيح مسلم (١/ ١٨٢) رقم (١٩٣).

(٢) الدعاميص: جمع دعموص أي: صغار أهلها أي يكونون صغار أهل الجنة.

(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٢٩) رقم (٢٦٣٥).

.....

❑ هل زيارة قبر النبي ﷺ من أسباب الحصول على شفاعته؟

جاءت أحاديث عديدة كحديث: «**مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي**»، وفي رواية: «**حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي**» وغيرها بألفاظ متعددة وكلها أحاديث باطلة.

❑ ويشترط في الشفاعة شرطان:

الشرط الأول: إذن الله للشافع بالشفاعة: والدليل قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

الشرط الثاني: رضا الله عن المشفوع له: ولا يرضى الله إلا عن الموحدين، أما من كان كافرًا فلا تقبل فيه الشفاعة، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثر:٤٨].

أما شفاعة النبي لعمه أبي طالب فهي خاصة، والشفاعة له ليست للإخراج من النار بل لتخفيف العذاب فقط.

❑ مذهب الخوارج والمعتزلة في الشفاعة:

الخوارج والمعتزلة أنكروا الشفاعة لأهل الكبائر، فمنعوا الشفاعة لمن يستحق العذاب، أو أن يخرج من النار من يدخلها[(١)].

فعندهم أن من دخل النار فليس بخارج منها[(٢)].

وقد أنكر الخوارج الشفاعة في أهل الكبائر في آخر عهد الصحابة ﷺ. وأنكرها المعتزلة في عصر التابعين، وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين، الذين يشهدون أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا رسول الله، وقد اشتهر عندهم أن أهل الكبائر لا يغفر الله لهم، ولا يخرجون من النار بعد أن يدخلوها، لا بشفاعةٍ ولا غيرها[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١١٦).

(٢) ينظر: كتاب الشريعة ص (٣٣١).

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٣١٨).

.....

وزعموا أن من دخل جهنم يخلد فيها لأنه إما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة[١].

وقد أنكر الصحابة ﷺ على الخوارج هذا المذهب الباطل، وحدثوهم بما سمعوا من النبي ﷺ في ذلك[٢].

❑ حجة المعتزلة والخوارج في إنكار الشفاعة لأهل الكبائر:

احتج المعتزلة والخوارج على إنكار الشفاعة بآيات الوعيد الواردة في القرآن الدالة على عموم تعذيب أصحاب الذنوب والمعاصي في النار، وعدم إخراجهم منها، وأن هذا يدل على عدم ثبوت الشفاعة يوم القيامة لأهل العذاب.

وقد انبنى هذا على مذهبهم المشهور في تخليد أصحاب الكبائر في النار إذا ماتوا من دون توبة.

قال القاضي عبد الجبار أحد رؤوس المعتزلة: «دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق عن طريق الدوام، فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي ﷺ»، وقال: «ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الزُّمَر:١٩]»[٣].

ومن الآيات التي استدلوا بها أيضًا قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران:١٩٢].

وقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة:٢٠].

---

(١) لوامع الأنوار (٢/ ٢١٧).

(٢) ينظر: أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٦/ ١٠٩٤).

(٣) شرح الأصول الخمسة ص (٦٨٩).

○قوله: «وقُلْ في عَذابِ القَبْرِ حَـقٌّ مُوَضَّـحُ» أي: قـل بلسـانك واعتقـد بجنانك أن عذاب القبر حق لا ريب فيه ولا شك.

وسبق الكلام عن عذاب القبر في شرح اللاميـة، ونضـيف هنـا بعـض المسائل التي لم تذكر هناك.

❑ عذاب القبر ونعيمه يلحق مَنْ قُبِر ومنْ لم يقبر:

عذاب القبر ونعيمه ينالان كل من مات، ولو لم يدفن؛ فهو اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠]، وسمي عذاب القبر باعتبار غالب الخلق؛ فالمصلوب والمحرق والمغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذى تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما.

فحتى لو علق الميت على رؤوس الأشجار في مهـاب الريـاح لأصـاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه ولو دفن الرجـل الصـالح في أتـون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظـه فيجعـل الله النار على هذا بردًا وسلامًا والهواء على ذلك نارًا وسمومًا.

فغير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب والغريق والمحـرق ونحـن لا نشـعر بها؛ لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود؛ فهذا المغمى عليه والمسكور والمبهوت أحياء وأرواحهم معهم ولا تشعر بحياتهم، ومن تفرقت أجزاؤه لا يمتنـع عـلى من هو على كل شيء قدير أن يجعل للروح اتصالًا بتلك الأجزاء على تباعـد مـا بينها وقربه، ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم أو اللذة[1].

(١) ينظر: كتاب الروح ص (٧٣)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص (٢٧٦، ٢٧٧).

ولاَ تُكْفِـرنْ أَهـلَ الصَّـلاةِ وإِنْ عَصَـوْا فَكُلُّهُمُ يَعْصِـي وذُو العَـرْشِ يَصْـفَحُ

○**قوله:** «**ولاَ تُكْفِرنْ أَهلَ الصَّـلاةِ وإِنْ عَصَـوْا**» أي: لا تعتقـد تكفـير أهـل الصلاة، وإن عصوا بارتكاب الذنوب كبيرها وصغيرها.

○**قوله:** «**فَكُلُّهُمُ يَعْصِـي وذُو العَـرْشِ يَصْـفَحُ**» أي: كـل العبـاد يقعـون في المعاصي إلا من عصمه الله من المرسلين والأنبياء عليهم الصلاة والسـلام، والله سبحانه وتعالى يصفح ويعفو ويتجاوز عن ذنوب عباده تكرمًا منه وتفضلًا.

وأراد الناظم بهذا البيت الرد على مـن ضـل في عصـاة الموحـدين: وهـم الخوارج الذين كفروا فاعل الكبيرة، ويشاركهم في ذلك المعتزلـة، وإن كـان المعتزلة لا يصرحون بلفظ التكفـير لكـن يوافقـونهم في المصـير الأخـروي، وسبق معنا أن النصوص تدل على أن عصاة الموحـدين تحـت المشـيئة، قـال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

مذهب أهل السنة والجماعة في هـذه المسـألة: هـو المـذهب الوسـط الحـق، حيث لا يكفرون صاحب الكبيرة، كما أنهم أيضًا لا يقولون عنه كامـل الإيـمان كما يقوله المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية.

❑ ماذا يقول أهل السنة عن مرتكب الكبيرة؟

يقولون: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، ويقولون أيضًا: هو تحـت المشـيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه.

وبهذا يكون أهل السنة قد أعملوا جميع الأدلة التي تتعلق بالخوف والرجاء، خلافًا للخوارج والمعتزلة الذين أعملوا أدلة الخوف وأهملوا أدلة الرجاء، وخلافًا للمرجئة الذين أعملوا أدلة الرجاء وأهملوا أدلة الخوف.

وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لَمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

○**قوله:** «**وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الخَوَارِجِ إِنَّهُ**» في هذا البيت صرح الناظم ﷺ بالتحذير من منهج الخوارج الذين خرجوا عن جادة الحق، وكان أول ظهور لهم في عهد علي بن أبي طالب حيث خرجوا عليه بدعوى أنه حَكّم الرجال والله يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، وقد ناظرهم حبر الأمة ابن عباس ﷺ ورد عليهم هذه الشبهة من عدة أوجه:

الوجه الأول: أن الله حَكّم الرجال في الواجب على المحرم إذا صاد صيدًا وهذا في قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة:٩٥].

الوجه الثاني: أن الله حَكّم الرجال في مسألة النشوز وهذا في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء:٣٥].

ففي هاتين الآيتين حَكّم الله الرجال للوصول إلى الحق، وهكذا فعل علي ﷺ؛ ولهذا رجع من هؤلاء الخوارج أكثر من النصف بعد رد هذه الشبهة من ابن عباس ﷺ.

ومذهب الخوارج من أقسى المذاهب على المسلمين، قال شيخ الإسلام: «وقد أتفق أهل العلم أن أعظم السيوف التي سلت على أهل القبلة إنما هو من المنتسبين إليه، وأعظم الفساد الذي جرى على المسلمين ممن ينتسب إلى أهل القبلة»(١).

وجاء الوعيد على التساهل في التكفير في الصحيحين من حديث أبي ذر: «**وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ**»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٧٩).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ١٥) رقم (٦٠٤٥)، وصحيح مسلم (١/ ٧٩) رقم (٦١).

.....

وهذه الجملة اشتملت على النهي عن رمى المسلم بالكفر أو الألفاظ التي تحمل هذا المعنى كقول القائل لأخيه المسلم: «يا عدو الله»، فهذا التكفير أو الرمي بهذه الألفاظ يعود إلى قائله إن لم يكن المرمي بذلك أهلًا لذلك، كما هو ظاهر الحديث.

❑ قواعد مهمة في وسطية أهل السنة:

القاعدة الأولى: أن أهل السنة والجماعة وسط في هذا الباب بين المكفرة وبين المرجئة، وسط بين من غلا في التكفير ومن غلا في الإرجاء، فمنهج أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون إلا من كفره الله ورسوله، فليسوا كالمكفرة الذين يكفرون بأهواء وجهل، وليسوا كالمرجئة الذين ينفون تكفير الكافر الذي كفره الله ورسوله.

بل هم وسط بين هؤلاء وهؤلاء كما هم وسط بين المذاهب الأخرى الضالة في أمور كثيرة، قال شيخ الإسلام في الواسطية عن أهل السنة: «وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية»[1].

إذن، أهل السنة مذهبهم مذهب الاعتدال والوسط، فهم ليسوا كالحرورية الخوارج الذين يكفرون صاحب الكبيرة، بمجرد ارتكابه للكبيرة.

---

(١) العقيدة الواسطية ص (١٠).

.....

وليسوا أيضًا كالمرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، ويعتبرون مرتكب الكبيرة كامل الإيمان.

وهذان المذهبان باطلان، والحق مذهب أهل السنة الذين كانوا وسطًا بين هؤلاء وهؤلاء، فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن ناقص الإيمان ويقولون: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

القاعدة الثانية: أن أهل السنة لا يكفرون أحدًا بمجرد ارتكابه ناقضًا من النواقض أو بمجرد أن يفعل كفرًا أو يقول كفرًا، لا يكفرون فاعل الكفر ولا قائل الكفر حتى تقوم عليه الحجة ويبين له الحكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في الفتاوى: «وليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»[1].

ومن الذي يقيم الحجة على من وقع في الكفر؟

الجواب: هم أهل العلم الذين يعلمون الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهم الذين لديهم القدرة على إقامة الحجة، أما آحاد العوام الذين لا علم عندهم فهؤلاء ليسوا أهلًا لإقامة الحجة.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٦٦).

.....

القاعدة الثالثة: من القواعد المهمة في هذا الباب: أنه ليس كل من فعل كفرًا حكم بكفره، لأنه قد يكون القول كفرًا أو الفعل كفرًا لكن لا يطلق على فاعله كافرًا، لماذا؟

لأن من فعل ذلك قد يكون معذورًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيبًا لما قاله الرسول، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لا يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده».

ثم قال شيخ الإسلام: «وكنت دائما أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: (إذا أنا مِتُّ فأحرقوني ثم اسحقوني، ثم ذروني في اليم فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا من العالمين، ففعلوا به ذلك فقال الله له: ما حملك على ما فعلت. قال خشيتك: فغفر له)...»، إلى أن قال: «فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته... بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلًا لا يعلم ذلك»[1].

إذن قد يقع الإنسان في شيء كفري لكن لا يكفر؛ لأنه جاهل فيعذر بجهله، والأعذار كثيرة ذكر شيخ الإسلام منها ما يلي:

أولاً: أن الإنسان قد يكون حديث عهد بإسلام.

ثانيًا: ربما لا يكون حديث عهد، لكن تكون نشأته وحياته في البادية.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٣١).

.....

ثالثًا: ربما يعيش في الحاضرة وعند المتعلمين، لكن لم يسمع ببعض النصوص التي تدل على أن بعض الأعمال كفر.

رابعًا: ربما سمع بهذه النصوص لكن لم تثبت عنده؛ لأنه يظنها ضعيفة.

القاعدة الرابعة: يجب أن يُعلم أن أهل السنة يفرقون بين التكفير المطلق والتكفير المعين، فيقولون: من فعل كذا أو قال كذا فهو كافر، فهذا هو التكفير المطلق، لكنه لا يستلزم تكفير المعين، لأنه قد يكون معذورًا كما سبق، يفعل كفرًا لكن لا يعلم أنه كُفْر، هذا هو الفرق بين التكفير المطلق والتكفير المعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع»[(١)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «مسألة تكفير المعين مسألة معروفة إذا قال قولًا يكون القول به كفرًا، فيقال: من قال بهذا القول فهو كافر لكن الشخص المعين إذا قال ذلك لا يُحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة»[(٢)].

القاعدة الخامسة: ليس معنى التشديد في التكفير المعين عند أهل السنة، والاحتراز والاحتياط فيه أنهم يوافقون المرجئة الذين لا يكفرون من كفره الله ورسوله، بل هم كما سبق وسط بين المكفرة وبين المرجئة، ولهذا نقل القاضي عياض إجماع السلف على تكفير من لم يكفر اليهود والنصارى أو شك في كفرهم، كما ذكر ابن تيمية ﷺ الإجماع على تكفير من ادعى الألوهية في علي وتكفير من لم يكفر من ادعى ذلك.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٨٧).

(٢) ينظر: فتيبان تتعلقان بتكفير الجهمية ص (١٥٨).

.....

القاعدة السادسة: التكفير حكم شرعي وحق لله عز وجل:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا بخلاف ما كان يقوله بعض الناس، كأبي إسحاق الإسفراييني ومن اتبعه، يقولون: (لا نكفر إلا من يُكَفِّر) فإن الكفر ليس حقًا لهم، بل هو حق لله، وليس للإنسان أن يَكذب على من يكذب عليه، ولا يفعل الفاحشة بأهل من فعل الفاحشة بأهله، بل ولو استكرهه رجل على اللواطة، لم يكن له أن يستكرهه على ذلك، ولو قتله بتجريع خمر أو تلوط به لم يجز قتله بمثل ذلك؛ لأن هذا حرام لحق الله تعالى، ولو سب النصارى نبينًّا، لم يكن لنا أن نسب المسيح، والرافضة إذا كفروا أبا بكر وعمر، فليس لنا أن نكفر عليًّا»(١).

القاعدة السابعة: الأصل في المسلم العدالة:

الأصل في المسلم العدالة وبقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه؛ لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم والمحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

الثاني: الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالمًا منه، ففي صحيح مسلم: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»(٢).

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٤٤).

(٢) صحيح مسلم (١/ ٧٩) رقم (٦٠).

.....

القاعدة الثامنة: أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة.

قال ابن القيم رحمه الله: «أن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أُخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب ولم يحضر ترجمان يترجم له»[1].

القاعدة التاسعة: جحد الأمر المجمع عليه، ليس كجحد ما هو معلوم من الدين بالضرورة:

فإن جاحد الحكم المجمع عليه إنما يكفر إذا كان معلومًا من الدين بالضرورة، وأما المجمع عليه الذي ليس معلومًا من الدين بالضرورة، فلا يكفر بإنكاره، مثل: (كون بنت الابن لها السدس مع البنت) مجمع عليه، وليس معلومًا بالضرورة فلا يكفر منكره.

والذي يكفر جاحده إذا كان معلومًا من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة وتحريم الشرك والزنا ونحو ذلك.

○○○

(١) طريق الهجرتين ص (٤١٤).

ولا تَــكُ مُرْجيًّــا لَعُوبًــا بِدِينِــهِ ألاَ إِنَّــمَا الْمُرْجِــيُّ بِالــدِّينِ يَمْــزَحُ

○قوله: «**ولا تَكُ مُرْجيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ**» حينما حذر الناظم من الطائفة الأولى الخوارج أراد أن يحذر من طائفة أخرى لا تقل خطرًا على المسلمين من الطائفة الأولى وهي المرجئة، وسموا بهذا الاسم؛ لأنهم أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، فاشتقاق المرجئة من الإرجاء وهو التأخير[(١)]، تأخير الأعمال عن مسمى الإيمان، فهم يقولون: الأعمال لا تدخل في الإيمان، وليس لها أي أثر عليه بمعنى أن العامل لا ينفعه عمله شيئًا ما دام قد آمن بقلبه.

ونتيجة هذا القول أن من آمن بقلبه ولم يأت بشيء من الواجبات كالصلاة والزكاة فهو مؤمن كامل الإيمان، لكن المرجئة ليسوا على درجة واحدة بل هم على درجات:

- فمنهم من قال: الإيمان مجرد التصديق[(٢)].

- ومنهم من قال: الإيمان مجرد النطق[(٣)]، فالمنافقون عندهم مؤمنون، وإيمانهم كإيمان جبريل عليه السلام.

- ومنهم من قال الإيمان مجرد المعرفة[(٤)] - وهذا أقبح الأقوال - لأنه على هذا القول يدخل فرعون في الإيمان، وجاء صريحًا في القرآن أن فرعون يعرف هذه الحقيقة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل:١٤].

---

(١) القاموس المحيط ص (٥٢).

(٢) وهذا مذهب الأشعري والماتريدي.

(٣) أي قول اللسان فقط، ولو لم يعتقد بقلبه، وهو قول الكرامية.

(٤) وهؤلاء هم الغلاة وهم الجهمية.

.....

- ومنهم من يقول: الإيمان اعتقاد القلب وقول اللسان فقط، ولا تدخل الأعمال في حقيقة الإيمان، وهذا قول حماد بن أبي سليمان، وتلميذه أبي حنيفة وأتباعه، وهم من يسمون بـ (مرجئة الفقهاء)، وخلافهم مع أهل السنة لفظي من وجه، ومعنوي من وجه آخر، حيث منعوا الاستثناء في الإيمان، والزيادة والنقصان فيه[١].

والمقصود أن المرجئة ضلوا في إخراج الأعمال من الإيمان أي أن الأعمال لا تزيد في الإيمان شيئًا، إذن الخوارج والمرجئة من أشد الطوائف خطرًا على المسلمين، وكثيرًا ما يحذر العلماء من هذا المذهب الفاسد.

❑ موقف أهل السنة من المرجئة:

قال إبراهيم النخعي رحمه الله عن المرجئة: «لفتنتهم عندي أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة»[٢].

وقال أيضًا: «تركت المرجئة الدين أرق من ثوب سابري[٣]»[٤].

وقال الزهري: «ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على الملة من هذه يعني: أهل الإرجاء»[٥].

---

(١) انظر: التوضيحات الأثرية لمتن الرسالة التدمرية ص (٤٣٣).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣١٣) رقم (٦١٧)، وأبو بكر الخلال في السنة (٤/ ١٣٧) رقم (١٣٦١)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٨٥) رقم (١٢٢١).

(٣) ثوب سابري: رقيق وكل رقيق سابري والسابري من الدروع الرقيقة السهلة وأصله سابوري منسوب إلى سابور فثقل عليهم فقالوا سابري. ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٣١٠).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣١٣) رقم (٦١٨)، وأبو بكر الخلال في السنة (٤/ ١٣٨) رقم (١٣٦١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ١٠٦١) رقم (١٨٠٧).

(٥) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/ ٦٧٦) رقم (٢٩٥).

.....

وقال الأوزاعي: كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان: «ليس من شيء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء»[(١)].

ولهذا أفاض السلف في التحذير من مذهب الإرجاء وبيان المذهب الحق ودخول أعمال الجوارح في مسمى الإيمان لامتناع قيام الإيمان بالقلب من غير حركة البدن.

فالعمل الظاهر لازم للعمل الباطن، فوجوده وجود للباطن، وانتفاؤه انتفاء للباطن.

أدلة أهل السنة:

دلَّ الكتاب والسنة والإجماع والعقل على دخول العمل في مسمى الإيمان وأنه ركن فيه لا ينفع الإيمان إلا به.

أدلة الكتاب: تنوعت دلالة الكتاب على ركنية العمل ودخوله في مسمى الإيمان، فمن ذلك:

أولًا: نفي الإيمان وإطلاق الكفر على من تولى عن الطاعة: كقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٤٧].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣٢].

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣١٨) رقم (٦٤١)، والآجري في الشريعة (٢/ ٦٨٢)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٨٥) رقم (١٢٢٣).

.....

وقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة:٣١،٣٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل:١٤-١٦].

وقوله تعالى على لسان موسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه:٤٨].

قال شيخ الإسلام: «قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧].

والتوالي: هو التولي عن الطاعة، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح:١٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة:٣١،٣٢].

وقد قال تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل:١٥،١٦]»[(١)].

قال شيخ الإسلام: «فنفي الإيمان عمن تولى عن العمل، وإن كان قد أتى بالقول ... ففي القرآن والسنة من نفي الإيمان عمن لم يأت بالعمل مواضع كثيرة، كما نفى فيها الإيمان عن المنافق»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٤٢).

(٢) المرجع السابق (٧/ ١٤٢).

.....

ثانيًا: أن الله تعالى قرن الإيمان بالعمل الصالح في مواضع كثيرة من كتابه:

فتارة يعلق عليهما دخول الجنة، كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥].

وكقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء:٥٧].

وكقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزُّخرُف:٧٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١].

قال ابن بطة رحمه الله: «فتفهموا رحمكم الله هذا الخطاب، وتدبروا كلام ربكم عز وجل، وانظروا هل ميز الإيمان من العمل، أو هل أخبر في شيء من هذه الآيات أنه ورث الجنة لأحد بقوله دون فعله؟ ألا ترون إلى قوله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزُّخرُف:٧٢]، ولم يقل: بما كنتم تقولون.

وقال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١]، ولم يقل: بما قالوا»[(١)].

---

(١) الإبانة الكبرى (٢/ ٧٨٧،٧٨٨).

.....

وتارة يعلق عليهما المغفرة: كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة:٩].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٤٩ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الحج:٤٩،٥٠].

وقوله تعالى: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [سبأ:٤].

وتارة يعلق عليهما تكفير السيئات: كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٧].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف:١٦].

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التغابن:٩].

وتارة يعلق عليهما توفية الأجر: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٧٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:٥٧].

.....

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [النساء:١٧٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فاطر:٢٩،٣٠].

وهذا كله يدل على أن الإيمان والعمل الصالح سيّان وقرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر، ولا يصح أحدهما إلا بالآخر.

قال الآجري رحمه الله: «اعلموا رحمنا الله وإياكم يا أهل القرآن ... إن تدبرتم القرآن، كما أمركم الله تعالى علمتم أن الله تعالى أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله: العمل، وأنه تعالى لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وأنهم قد رضوا عنه وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة، والنجاة من النار، إلا الإيمان والعمل الصالح وقرن مع الإيمان العمل الصالح، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده، حتى ضم إليه العمل الصالح، الذي قد وفقهم له ...

واعلموا رحمنا الله تعالى وإياكم أني قد تصفحت القرآن فوجدت فيه ما ذكرته في ستة وخمسين موضعًا من كتاب الله عز وجل أن الله تبارك وتعالى لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم، وبما وفقهم له من الإيمان به، والعمل الصالح، وهذا رد على من قال: الإيمان: المعرفة ، ورد على من قال: المعرفة والقول، وإن لم يعمل نعوذ بالله من قائل هذا»[1].

(١) الشريعة (٢/ ٦١٨، ٦١٩).

.....

ثالثًا: وعيد الله الشديد في القرآن لمن أضاع العمل: قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا﴾ [مريم:٥٩].

استدل بهذه الآية ابن القيم على كفر تارك الصلاة وقال رحمه الله: «وجه الدلالة من الآية أن الله سبحانه جعل هذا المكان من النار لمن أضاع الصلاة واتبع الشهوات ولو كان مع عصاة المسلمين لكانوا في الطبقة العليا من طبقات النار ولم يكونوا في هذا المكان الذي هو أسفلها، فإن هذا ليس من أمكنة أهل الإسلام بل من أمكنة الكفار، ومن الآية دليل آخر وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾[مريم:٦٠]، فلو كان مضيع الصلاة مؤمنًا لم يشترط في توبته الإيمان وأنه يكون تحصيلًا للحاصل»[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة:١٤٣].

والمراد بالإيمان في هذه الآية: الصلاة، قال الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان: باب الصلاة من الإيمان، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة:١٤٣].

ثانيًا: الأدلة من السنة على أن العمل شرط في الإيمان:

- حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**»[(٢)].

- وحديث عبد الله بن بريدة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[(٣)].

---

(١) الصلاة وأحكام تاركها ص (٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٨٨) رقم (٨٢).

(٣) أخرجه أحمد (٣٨/ ٢٠) رقم (٢٢٩٣٧)، والترمذي (٥/ ١٣) رقم (٢٦٢١)، والنسائي (١/ ٢٣١) رقم (٤٦٣)، وابن ماجه (١/ ٣٤٢) رقم (١٠٧٩).

.....

- وحديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ الله وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا الله فِي ذِمَّتِهِ**»(١).

وروي «أن عمر ﷺ لما طعن أخذته غشية، فقال بعض الصحابة: إنكم لن تفزعوه إلا بالصلاة، فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين، ففتح عينيه، وقال: أصلى الناس؟ قلنا: نعم، قال: أما إنه لا حظ في الإسلام لأحد أضاع الصلاة ثم صلى وجرحه يثعب دمًا»(٢).

وكذلك روي عن علي وابن مسعود وابن عباس وأبي الدرداء ﷺ أنهم قالوا: «من ترك الصلاة فقد كفر» وهذا حجة لمن قال العمل من الإيمان(٣).

ولذا كان كثير من العلماء يذكرون باب ما جاء في ترك الصلاة أو كفر تارك الصلاة، ضمن كتاب الإيمان فمن هؤلاء:

- الإمام أبو عيسى الترمذي فقد قال في جامعه في أبواب الإيمان: باب ما جاء في ترك الصلاة، وضمنه الأدلة الدالة على كفر تارك الصلاة(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٨٧) رقم (٣٩١).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٣٩) رقم (٥١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٣٨) رقم (٣٧٠٦٧)، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٩٢) رقم (٩٢٣)، والطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ١٣٠) رقم (٨١٨١)، والدارقطني في سننه (١/ ٤١٧) رقم (٨٧٠).

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٣/ ٧٥٣).

(٤) جامع الترمذي (٤/ ٣٠٩).

.....

- ومنهم الإمام أبو بكر الآجري فقد عقد بابًا في كتابه الشريعة بعنوان: باب ذكر كفر من ترك الصلاة [١]، تحت تفريع معرفة الإيمان والإسلام وشرائع الدين.

- ومنهم تلميذه الإمام أبو عبد الله بن بطة في كتابه الإبانة الكبرى، عقد في أبواب كتاب الإيمان بابًا في كفر تارك الصلاة وما في الزكاة وإباحة قتالهم وقتلهم إذا فعلوا ذلك [٢].

- ومنهم الإمام اللالكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة.

وأما الإمام أبو داود السجستاني فقد عقد في كتاب السنة من سننه بابًا في رد الإرجاء [٣]، وذكر فيه حديث جابر ﷺ مرفوعًا: «**بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ**» [٤].

ثالثًا: الإجماع:

نقل إجماع أهل السنة على كفر تارك العمل الكلية غير واحد من سلف الأمة وأئمتها فمنهم:

- محمد بن إدريس الشافعي، حيث قال: «كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر» [٥].

---

(١) الشريعة (٢/ ٦٤٤).

(٢) الإبانة الكبرى (٢/ ٦٦٩).

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢١٩).

(٤) سنن أبي داود (٤/ ٢١٩) رقم (٤٦٧٨).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٥٧).

.....

- ومنهم الإمام العلامة أبو إبراهيم المزني المصري، حيث قال: «الإيمان قول وعمل مع اعتقاده بالجنان قول باللسان وعمل بالجوارح والأركان وهما سيان ونظامان وقرينان لا نفرق بينهما لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان» ثم ذكر سائر الاعتقاد، ثم قال: «هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى»[١].

- والإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، حيث قال: «باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح لا يكون مؤمنًا، إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث»[٢].

- والشيخ الإمام أبو عبد الله ابن بطة العُكْبَري، حيث قال: «باب بيان الإيمان وفرضه، وأنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح والحركات، لا يكون العبد مؤمنًا إلا بهذه الثلاث»[٣].

- وشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، حيث يرى أن إجماع الصحابة والتابعين ومن اتبعهم واقع على أن الإيمان نية وقول وعمل لا يجزئ واحد منها إلا بالآخر، وأن من آمن بجميع ما ذكره من عقود القلب في حديث جبريل من وصف الإيمان ولم يعمل بما ذكره من وصف الإسلام لا يكون مؤمنًا[٤].

---

(١) شرح السنة ص (٧٧-٨٩).

(٢) الشريعة (٢/ ٦١١).

(٣) الإبانة الكبرى (٢/ ٧٦٠).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣٠٨).

- ومنهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يقول: «لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا»[(١)]، فحكى رحمه الله عدم الخلاف وهي من عبارات نقل الإجماع.

- والشيخ سليمان بن سحمان، حيث قال: «اعلم أن من ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج فهو كافر بإجماع المسلمين»[(٢)].

وقد توافرت النصوص عن الصحابة في إكفار تارك الصلاة ولم ينقل عن أحدهم خلاف ذلك:

فعن أبي المليح الهذلي، قال: سمعت عمر رضي الله عنه على المنبر يقول: «لا إسلام لمن لم يصلِّ»[(٣)].

وقال أيضًا رضي الله عنه: «لا حظ في الإسلام لامرئ ترك الصلاة»[(٤)].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من ترك الصلاة فلا دين له»[(٥)].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لا إيمان لمن لا صلاة له»[(٦)].

---

(١) كشف الشبهات ص (٥٤).

(٢) كشف الشبهات التي أوردها عبد الكريم البغدادي ص (١٢).

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٩٧) رقم (٩٣٠).

(٤) تقدم تخريجه ص (١٠٢).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٦٧) رقم (٣٠٣٩٧)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٥٩) رقم (٧٧٢)، وابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٩٨)، وأبو بكر الخلاف في السنة (٤/ ١٤٧) رقم (١٣٨٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٩١) رقم (٨٩٤١).

(٦) أخرجه ابن نصر المروزي (٢/ ٩٠٣) رقم (٩٤٥)، وأبو بكر الخلال في السنة (٤/ ١٤٦) رقم (١٣٨٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٦٧٩) رقم (٧٨٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٩٠٩) رقم (١٥٣٦).

.....

وقد نقل جماعة من أهل العلم إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة:

- قال مجاهد بن جبر: قلت لجابر بن عبد الله ﷺ: ما كان يَفْرق بين الكفر والإيمان عندكم من الأعمال في عهد رسول الله ﷺ؟ قال: «الصلاة»[(١)].

وقوله: «عندكم» أي: عند الصحابة ﷺ.

- وقال عبد الله بن شقيق: «لم يكن أصحاب النبيّ ﷺ يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»[(٢)].

- وقال الحسن البصري: بلغني أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: «بين العبد وبين أن يشرك فيكفر أن يدع الصلاة من غير عذر»[(٣)].

- وقال أيوب السختياني: «ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه»[(٤)].

وسبب تكفير الصحابة لتارك الصلاة ظهور النصوص الدالة على ذلك ولأنه لا يمكن أن يوجد في القلب إيمان بلا عمل، قال شيخ الإسلام: «ثم القلب هو الأصل فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح:

---

(١) أخرجه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٧٧) رقم (٨٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ١٤) رقم (٢٦٢٢)، وابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٠٤) رقم (٩٤٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٧٢) رقم (٣٠٤٤٦)، وأبو بكر الخلال في السنة (٤/ ١٤٤) رقم (١٣٧٨).

(٣) أخرجه أبو بكر الخلال في السنة (٤/ ١٤٢) رقم (١٣٧٢)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٦٧٣) رقم (٨٧٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٩١٠) رقم (١٥٣٩).

(٤) أخرجه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٢٥) رقم (٩٧٨).

.....

«**أَلَا وَإِنَّ فِي الجسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الجسَدِ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الجسَدِ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[(١)].

وقال أبو هريرة: القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده ...

فإذا كان القلب صالحًا بما فيه من الإيمان علمًا وعملًا قلبيًا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق كما قال أئمة أهل الحديث: قول وعمل، قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن صلح الظاهر وإذا فسد فسد»[(٢)].

فالظاهر والباطن متلازمان، لا يكون الظاهر مستقيمًا إلا مع استقامة الباطن، وإذا استقام الباطن فلا بد أن يستقيم الظاهر.

وقد تتابعت أقوال أئمة أهل السنة من بعد الصحابة في أن الإيمان لا يقوم إلا بالعمل، فمنهم:

عبيد بن عمير المكي، قال: «ليس الإيمان بالتمني، ولكن الإيمان قول يعقل وعمل يعمل»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٠) رقم (٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩) رقم (١٥٩٩) من حديث النعمان ابن بشير ﷺ.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ١٨٧).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣١٧) رقم (٦٣٩)، وأبو بكر الخلال في السنة (٤/ ٨١) رقم (١٢١٢)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٨٠٤) رقم (١٠٩٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٣).

.....

- سعيد بن جبير قال في جوابه على أسئلة عبد الملك بن مروان: «سألت عن الإيمان، قال: فالإيمان هو التصديق، أن يصدق العبد بالله وملائكته وما أنزل من كتاب، وما أرسل من رسول، وباليوم الآخر، وتسأل عن التصديق: والتصديق أن يعمل العبد بما صدق به من القرآن، وما ضعف عن شيء منه وفرط فيه عرف أنه ذنب، واستغفر الله، وتاب منه ولم يصر عليه، فذلك هو التصديق، وتسأل عن الدين: والدين العبادة، فإنك لن تجد رجلًا من أهل دين يترك عبادة أهل دينه، ثم لا يدخل في دين آخر إلا صار لا دين له»[(١)].

- الحسن بن أبي الحسن البصري، قال: «إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، إنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية شارحًا قول الحسن: «وقوله: ليس الإيمان بالتمني - يعني الكلام - وقوله: بالتحلي، يعني أن يصير حلية ظاهرة له فيظهره من غير حقيقة من قلبه، ومعناه ليس هو ما يظهر من القول ولا من الحلية الظاهرة ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال فالعمل يصدق أن في القلب إيمانًا وإذا لم يكن عمل كذب أن في قلبه إيمانًا؛ لأن ما في القلب مستلزم للعمل الظاهر، وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٤٦) رقم (٣٤٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٦٣) رقم (٣٠٣٥١)، وفي الإيمان ص (٣٨) رقم (٩٣)، وأحمد ابن حنبل في الزهد ص (٢١٣) رقم (١٤٨٣)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٨٠٥) رقم (١٠٩٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٤).

.....

❑ **أبرز أدلة المرجئة:**

أولًا: نصوص الرجاء العامة:

فمثلًا يحتج القوم بحديث: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الجَنَّةَ**»(١).

وحديث: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**»(٢).

ونحو ذلك من النصوص.

والجواب على ذلك:

أن هذه أحاديث عامة يجب ردها إلى بقية النصوص الواردة في الباب، كالأدلة التي سبقت في دخول العمل في مسمى الإيمان، ولا يجوز إعمال بعض النصوص وإهمال بعضها، بل الواجب الأخذ بها جميعًا.

ثانيًا: حديث الجهنميين (حديث الشفاعة):

روى مسلم في صحيحه من طريق حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري: «**أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ الله ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: نَعَمْ ...**».

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ١٩٠) رقم (٣١١٦)، وأحمد في مسنده (٣٦/ ٣٦٣) رقم (٢٢٠٣٤)، من حديث معاذ ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٦٥) رقم (٣٤٣٥)، ومسلم (١/ ٥٧) رقم (٢٨) من حديث عبادة ﷺ.

.....

وفيه: «حَتَّى إِذَا خَلَصَ المؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لله فِي اسْتِقْصَاءِ الحقِّ مِنَ المؤْمِنِينَ لله يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَد أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ...

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الخدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الحدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الملَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الجنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الحيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الحجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الخوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الله الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الجنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الجنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ»[1].

(١) صحيح مسلم (١/ ١٦٧) رقم (١٨٣).

.....

وجه الاستدلال من الحديث عند المرجئة:

أن الله تعالى أخرج أقوامًا من النار ليس معهم إلا اعتقاد القلب لا (عمل عملوه، ولا خير قدموه) مما يدل على أن فاقد العمل عنده إيمان صحيح يخرج به من النار.

والجواب على ذلك: أن هؤلاء الذين يدخلهم الله الجنة بعد ما يعذبهم لم يكونوا تاركين للعمل مطلقًا، بل لديهم عمل ولكنه عمل قليل به يتحقق أصل الإيمان لا كماله، وهذا هو معنى قوله: «**بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ**» أي: لم يأتوا بأعمال زائدة على أصل الإيمان بل اقتصروا على الأعمال المحققة لأصل الإيمان، والأحاديث الواردة في مثل سياق حديث أبي سعيد قد دلت على أن القوم لم يكونوا تاركي العمل، فمن ذلك :

ما أخرج البخاري ومسلم من طريق عطاء بن يزيد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «... **حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الملَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مِنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا**[(١)]، **فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الجنَّةِ دُخُولًا الجنَّةَ** ...» الحديث[(٢)].

---

(١) أي: احترقوا. ينظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ٣٦).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ١١٧) رقم (٦٥٧٣)، وصحيح مسلم (١/ ١٦٣) رقم (١٨٢).

.....

والشاهد في الحديث السابق قوله: «**يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ**»، والمراد بذلك الصلاة، فهذا دليل واضح على أن أصل العمل قد قاموا به ولكنهم لم يأتوا بكمال العمل.

❑ مسألة: أيهم أخطر الخوارج أم المرجئة؟

الخوارج: أخطر من حيث الأفعال والممارسات؛ لأنهم يقاتلون ويخرجون على المسلمين من أجل مذهبهم، ويستحلون الدماء المعصومة.

أما المرجئة: فأخطر من حيث أثرهم على العقيدة؛ لأن مقتضى قولهم تضييع الدين وتمييعه، قال إبراهيم النخعي ﷺ عنهم: «لفتنتهم عندي أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة»[(١)]، والأزارقة: هم الخوارج.

والخوارج قد تنفر منهم النفوس لاستحلالهم الدماء، أما المرجئة فإنهم يتساهلون في تصحيح مذاهب أهل الضلال، ويجعلون الفاسق كامل الإيمان، والنفوس الضعيفة تميل إلى ذلك.

لذلك توسط أهل السنة في هذا الباب بين هاتين الفئتين[(٢)].

○○○

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣١٣) رقم (٦١٧)، وأبو بكر الخلال في السنة (٤/ ١٣٧) رقم (١٣٦٠)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٨٥) رقم (١٢٢١).

(٢) للتوسع في الرد على المرجئة، ينظر كتاب "براءة أهل الحديث والسنة من بدعة المرجئة" لمحمد ابن سعيد بن عبد الله الكثيري، قدم له الشيخ الدكتور: عبد الرحمن بن صالح المحمود.

وَقُلْ: إِنَّمَا الإِيمَانُ: قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ

○**قوله**: «**وَقُلْ**» أي: بلسانك معتقدًا بجنانك مذعنًا بأركانك.

○**قوله**: «**إِنَّمَا الإِيمَانُ**» (إنما) أداة حصر، والإيمان لغةً: التصديق، واصطلاحًا: تصديق بالقلب، وقول باللسان وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

○**قوله**: «**قَوْلٌ**» أي: قول باللسان، فمن لم يقر وينطق بلسانه مع القدرة لا يسمى مصدقًا.

○**قوله**: «**وَنِيَّةٌ**» أي: قَصْدٌ، إذ النية هي القصد، والمراد هنا أن الإيمان لا يصح إلا باعتقاد القلب.

○**قوله**: «**وَفِعْلٌ**» أي: فعل بالأركان.

○**قوله**: «**عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ**» أي: مصرحٌ به في قول النبي ﷺ، و(مصرحٌ) صفة لفعل يتعلق بما قبله من القول والنية.

وأيضًا كانت ألفاظ السلف مصرحة بذلك؛ حيث قال ابن حجر رحمه الله: «هو اللفظ الوارد عن السلف الذين أطلقوا ذلك»[(١)].

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «المشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان: قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان»[(٢)].

وقال الشافعي رحمه الله: «كان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم، ومن أدركناهم يقول: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر»[(٣)].

---

(١) فتح الباري (١/ ٤٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٤).

(٣) الإيمان لابن تيمية ص (١٦٦).

وَيَـنْقُصُ طَـوْرًا بِالمعَـاصِي وتَـارَةً بِطَاعَتِـهِ يَنْمِـى وَفِي الْـوَزْنِ يَـرْجَحُ

○**قوله:** «**وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالمعَاصِي وتَارَةً**» أي: الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، ويدل على ذلك أدلة كقوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

وكقوله في الأنفال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢]، وفي آخر التوبة قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة والأحاديث المتوافرة في الأدلة على أن الإيمان يتأثر بالأعمال زيادة ونقصًا.

○**قوله:** «**يَرْجَحُ**» أي: ترجح كفة الإيمان بسبب العمل، فهذا الذي قرره الناظم، وهو مذهب أهل السنة والجماعة خلافًا للمرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان.

وفي هذين البيتين يشير الناظم إلى مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان وأنه مشتمل على أمور أربعة: القول باللسان، والاعتقاد بالجنان وهو اعتقاد القلب، والعمل بالأركان، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، فلا بد من هذه الأربع لتحقيق الإيمان.

والمراد باعتقاد القلب: ما يتعلق بالتصديق لله ولرسوله ﷺ، فكل الاعتقادات الواجبة داخلة في ذلك مثل: الإيمان بالله والرسل والكتب والبعث وغير ذلك.

أما عمل القلب: فالنتيجة المترتبة على ذلك، وهي ثمرة هذا الاعتقاد كالخشية لله والتوكل عليه ونحو ذلك.

أما العمل بالأركان: فالمراد به القيام بالواجبات العملية، فهي دليل ثبوت أصل الإيمان خلافًا للمرجئة الذين يخرجون العمل عن مسمى الإيمان.

وَدَعْ عَنْـكَ آرَاءَ الرِّجَـالِ وَقَوْلَـهُمْ فَقَـوْلُ رَسُـولِ الله أَزْكَـى وَأَشْرَحُ

○**قوله**: «**وَدَعْ عَنْكَ**» أي: اترك، واحذر، واجتنب.

○**قوله**: «**آرَاءَ الرِّجَالِ**» ذكر الرجال هنا لا مفهوم له، فالرأي الباطل مذموم سواء كان من الرجال أو النساء، وإنما خص الرجال بالذكر هنا، أصحاب الرأي في الغالب[١].

وآراء الرجال المقصود بها آراء المشايخ والكبراء والآباء والأجداد، ويشمل كل رأي يخالف كتاب الله وسنة رسوله، قال ابن القيم رحمه الله:

والله ما خوفي الذنوب فإنها لعلى طريق العفو والغفرانِ
لكنما أخشى انسلاخ القلب تحكيم هذا الوحي والقرآنِ
ورضا بآراء الرجال وخرصها لا كان ذاك بمنة الرحمنِ

واتباع آراء الرجال في العقائد يعني أخذ أقوال أهل الكلام والاستغناء بها عن هدي القرآن والسنة، وهذا من أبطل الباطل وقد تواردت كلمات الأئمة في ذم علم الكلام.

قال الشافعي رحمه الله: «لأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك بالله خير له من النظر في الكلام، فإني قد اطلعت من أهل الكلام على أشياء ما ظننته قط»[٢].

وقال أيضًا: «رأيي ومذهبي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد، ويجلسوا على الجمال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأخذ في الكلام»[٣].

---

(١) التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية ص (١١١،١١٠).
(٢) ينظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٢٤).
(٣) ينظر: حلية الأولياء (٩/ ١١٦).

.....

والمقصود أن كلام السلف في ذم الكلام وأهله كثير.

وأخذ آراء الرجال بدون حجة ولا برهان شرعي في العقائد أو الأحكام هو التقليد المذموم الذي ذمه السلف ونهوا عنه.

والتقليد: قَبُول القول والتزامه دون حجة ودليل من كتاب وسنة.

وقد جاء ذم التقليد في كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، وكلام السلف:

قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزُّخرُف:٢٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ [الصافات:٦٩، ٧٠].

قال بعض المفسرين: «لو لم يوجد في القرآن آية غير هذه الآية في ذم التقليد لكفى»[(١)].

والتقليد نوعان:

النوع الأول: التقليد في العقائد، وفيه تفصيل:

أولًا: مسائل أصول الإيمان وأصول العقيدة كالأركان الست، وما جاء من أمور الآخرة فيجب فيه اتباع الدليل ولا يجوز الأخذ فيها بالتقليد لأحد من الناس.

ثانيًا: أما التقليد في الاستدلال فلا بأس به؛ يعني أن يعلم وجه الدليل من الحجة ويقلد العالم في الاقتناع بهذا الدليل ووجه الاستدلال منه، فلا بأس به؛ لأن المجتهد في فهم الدليل قليل في الأمة اليوم.

---

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي (٢٦/ ٣٣٨).

.....

النوع الثاني: التقليد في الفروع:

والناس فيه على ثلاث درجات:

١- **العلماء المجتهدون**: وهؤلاء لا يجوز في حقهم التقليد، بل يجتهدون في أمور الدين.

٢- **طلبة العلم**: وهؤلاء في درجة الاتباع بين الاجتهاد والتقليد، وهؤلاء لا يجوز لهم التقليد، ولكن يهتدون بسير العلماء واستدلالاتهم وترجيحاتهم.

٣- **عامة الناس**: وهؤلاء يجوز لهم التقليد؛ لأنهم لا يفهمون الأدلة والاستدلال.

وقد شاع على ألسنة كثير من طلبة العلم الحديث عن المذهبية وذمها، والأولى التفصيل فيها على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: التفقه على مذهب: وهو دراسة طالب العلم على أحد المذاهب المشهورة، وهذا ليس بمذموم بل محمود ومطلوب، ولا سيما في ابتداء الطلب.

المرتبة الثانية: الانتساب للمذهب: وهذا لا شيء فيه، وقد انتسب كثير من الأئمة إلى المذاهب، ومن راجع كتب الطبقات وجد ذلك.

وقد انتسب إلى المذهب الحنبلي عدد من العلماء المحققين منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن رجب، وغيرهم كثير.

المرتبة الثالثة: التعصب المذهبي: وهذا يعني اتباع المذهب في كل شيء والأخذ بأقواله ولو خالفت الكتاب والسنة، وهذا هو المذموم.

.....

❑ **وقد ظهرت في العصر الحاضر دعوتان:**

الأولى: الدعوة إلى الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة:

وهؤلاء يرون أنَّ الأخذ منهما فيه غنية عن الرجوع إلى كتب الأئمة وشروح السنة ومؤلفات الفقهاء، وقد نزع إلى ذلك بعض المتحمسين للتحرر من التقليد، فهجروا كتب المذاهب وحاربوها ورفعوا راية التحرر المطلق من المذاهب، فظهر الشذوذ والتفلت والترقيع الفقهي، ولا شك أن هذه الدعوة دعوةٌ غير صحيحة، ولا تمت إلى العلم بصلةٍ.

وقد شكى أحد العلماء من ذلك فقال: «كنا نشكو من التقليد، فأصبحنا نشكو من التفلت».

والثانية: الدعوة إلى التعصب للأئمة وتقليدهم:

وهؤلاء أوجبوا التقليد على جميع الأمة، وشنعوا على مخالفيهم وضللوهم، وأغلقوا باب الاجتهاد، وحَجَّرُوا على الأمة، ولا شك في بطلان هذه الدعوة.

ومن أمثلة ذلك ما قاله الكرخي الحنفي: «كل آية تخالف مذهبنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث يخالف مذهبنا فهو مؤول أو منسوخ».

قال ناظم جوهرة التوحيد:

وواجبٌ تقليد حبرٌ منهم كذا أتى القوم بلفظٍ يُفهم

وقال أحد الحنابلة:

أنا حنبليٌّ ما حييت وإن أمت فَوَصيَّتي للنَّاس أنْ يَتَحَنْبَلُوا

.....

وقال غيره:

لـئن قلّـد النـاس الأئمـة إننـي لفـي مـذهب الحـبر ابـن حنبـل

أقلـد فتـواه وأعشـق قولـه وللنـاس فـيما يعشـقون

ولا شك أنَّ الحق وسطٌ بين هذين الطرفين:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الناس في الاستدلال والتقليد على طرفي نقيض: منهم من يوجب الاستدلال حتى في المسائل الدقيقة: أصولها وفروعها على كل أحد، ومنهم من يحرم الاستدلال في الدقيق على كل أحد وهذا في الأصول والفروع وخيار الأمور أوساطها»(١).

وهذه المسألة مبثوثة في كتب الأصول والكتب المتخصصة التي اعتنت بمسألة الاجتهاد والتقليد.

والمقصود أن الناظم يوصي في نهاية هذه الأبيات بما أوصى به في أولها وهو اتباع الرسول ﷺ والحذر من تقديم قول أحد على قوله، كما أمر بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢].

وفي النساء قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/١٨).

.....

فأمر في بداية الآية بالطاعة ثم في آخرها قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فمفهوم الآية إن لم تردوا إلى الله والرسول فلستم بمؤمنين ثم قال ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

وقد أوصى علماء السلف باتباع النبي وتقديم قوله على قول الرجال كما جاء على لسان بعض الأئمة.

قال الإمام مالك رحمه الله: «ما من أحد إلا يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر»(١)، وقال: «أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد لجدل هؤلاء»(٢).

وقال الشافعي رحمه الله: «إذا خالف قولي قول الرسول فاضربوا بقولي عرض الحائط وخذوا بقول رسول الله ﷺ»(٣).

وقال أحمد رحمه الله: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]»، ثم قال: «أتدري ما الفتنة، الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»(٤).

---

(١) ينظر: البداية والنهاية (١٤/ ١٦٠).

(٢) أخرجه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٧٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٦٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٤٢).

(٣) ينظر: البداية والنهاية (١٠/ ٢٧٦).

(٤) ينظر: الصارم المسلول ص (٥٦).

وَلاَ تَـكُ مِـنْ قَـوْمٍ تَلَهَّـوْا بِـدِينِهِمْ فَـتَطْعَنَ فِي أَهْـلِ الحـدِيْثِ وَتَقْـدَحُ
إِذَا مَا اعْتَقَـدْتَ الـدَّهْرَ يَـا صَـاحِ هَـذِهِ فأَنْـتَ عَـلَى خَـيْرٍ تَبِيـتُ وتُصْـبِحُ

○**قوله:** «**وَلاَ تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ**» يوصي الناظم رحمه الله بأخذ الدين والكتاب والسنة بقوة، كما قال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم:١٢] ويحذر من اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا.

○**قوله:** «**فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الحدِيْثِ وَتَقْدَحُ**» يحذر أيضًا من الطعن في أهل الحديث المتبعين له، العاملين بهديه.

ولفظ (أهل الحديث) يطلق على اصطلاحين:

الأول: كل من اشتغل بعلم الحديث، وهذا يدخل فيه أهل السنة والجماعة وأهل البدع، فعلى هذا الاصطلاح ليس أهل الحديث طائفة معينة.

الثاني: من يعتقد عقيدة أئمة الحديث والسنة فعلى هذا لا يدخل فيهم أهل البدع، فكلام أئمة السنة في الثناء على (أهل الحديث) المقصود به من حمل عقيدة أهل السنة والجماعة، فيدخل في ذلك كل من كان على عقيدة أئمة السنة ولو لم يكن من علماء أهل الحديث[1].

ومراد المصنف بأهل الحديث هنا المعنى الثاني لا الأول، بل كل من كان على عقيدة أهل السنة والجماعة، وهو متبع للحديث فهو من أهل الحديث سواء كان لغويًا، أو فقيهًا، أو مهندسًا ... إلخ.

فإن طائفة من أهل البدع المعاصرين قد اشتغلوا بالحديث أمثال عبد الله الحبشي، والكوثري، والغماري، وحسن السقاف، وغيرهم، فكل هؤلاء ليسوا من أهل الحديث وإن كانوا قد اشتغلوا بالحديث.

---

(١) ينظر: اعتقاد أئمة السلف أهل الحديث ص (٢٢٠).

.....

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإن أهل الحديث هم المنتسبون إليه اعتقادًا وفقهًا وعملًا، كما أن أهل القرآن كذلك، سواءً رووا الحديث أو لم يروه»[١].

قال بعض أهل العلم: «علامة أهل البدع الطعن في أهل الحديث».

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمه الله: «سمعت أبي يقول: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر»[٢].

وقال السفاريني رحمه الله: «ولسنا بصدد ذكر مناقب أهل الحديث فإنَّ مناقبهم شهيرة، ومآثرهم كثيرة، وفضائلهم غزيرة، فمن انتقصهم فهو خسيس ناقص»[٣].

وقال ابن القيم:

الشاتمي أهل الحديث عداوة ... للسنة العليا مع القرآن

جعلوا مسبتهم طعام حلوقهم ... فالله يقطعها من الأذقان

كبرًا وإعجابًا وتيهًا زائدًا ... وتجاوزًا لمراتب الإنسان[٤]

وأهل الحديث قد خصهم النبي بدعوة في قوله: «**نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ**»[٥].

---

(١) جامع المسائل (٥/ ٧٥).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٠٠).

(٣) لوائح الأنوار (٢/ ٣٥٥).

(٤) الكافية الشافية ص (١٣٨).

(٥) أخرجه الترمذي ٥/ ٣٤ رقم (٢٦٥٧).

.....

قال السيوطي رحمه الله:

من كان من أهل الحديث فإنه ذو نضرة في وجهه نور يسطع
إن النبي دعا بنظرة وجه من أدى الحديث كما تحمل واتبع

وقال الإمام أحمد فيما روي عنه:

دين النبي محمد آثار نعم المطية للفتى الأخبار
لا تَعْدُ عن علم الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى طرق الهدى والشمس ساطعة لها أنوار

وأخيرًا نختم بكلام شيخ الإسلام عن أهل الحديث، حيث قال: «وأهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما يتحلون به من صفات الكمال ... فهم أكمل الناس عقلًا، وأعدلهم قياسًا، وأصوبهم رأيًا، وأسدهم كلامًا، وأصحهم نظرًا، وأهداهم استدلالًا، وأقومهم جدلًا، وأتمهم فراسةً، وأصدقهم إلهامًا، وأحدهم بصرًا ومكاشفةً، وأصوبهم سمعًا»[1]، إلى آخر ما قال عن أهل الحديث الذين نسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه، وأن يمنحنا تعظيم السنة والعمل بها والدعوة إليها.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

د. عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل
القصيم - بريدة

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٩).

مناقشة على الشرح

١. ما المراد بحبل الله وسبب تعبير الناظم به؟

٢. ما هو سبب استفتاح المؤلف منظومته بالوصية بالأخذ بالقرآن والسنة؟

٣. من هم القرآنيون؟

٤. ما هي أنواع الهداية؟

٥. عرف البدعة؟

٦. كيف تَرُد على من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة؟

٧. عرف السنة لغة وشرعًا؟

٨. أذكر مصادر التشريع؟

٩. أذكر مذهب أهل السنة في القرآن؟

١٠. من هم الواقفة في القرآن ولماذا هم أخبث من الجهمية؟

١١. كيف كانت الواقفة أتباع جهم؟

١٢. أذكر المذاهب التي خالفت أهل السنة في القرآن؟

١٣. ما حكم من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق؟

١٤. أذكر أقسام الناس في رؤية الله يوم القيامة؟

١٥. بماذا نجيب على قول القائل: كيف يطيق المؤمن رؤيـة الله وموسـى لم يطق؟

١٦. ما هو الفَرْق بين الإدراك والرؤية؟

١٧. ما هي أقسام القرآن؟

١٨. ما وجه كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؟

١٩. أذكر أنواع صفات الله تعالى؟

٢٠. كيف الرد على الذين أولوا اليد بالقدرة؟

٢١. هل يقال: إن لله يد أخرى تسمى الشمال؟

٢٢. أذكر الأصول التي يقوم عليها مذهب أهل السنة في باب الصفات؟

٢٣. كيف نجيب على تأويلات أهل البدعة في صفة النزول؟

٢٤. ما هي الأدلة على أن أهل السنة هم خير هذه الأمة؟

٢٥. أذكر الآيات التي أثنت على الصحابة؟

٢٦. من هم العشرة المبشرون بالجنة؟

٢٧. بماذا استدل الإمام مالك على كفر الروافض؟

٢٨. ما الفرق بين القضاء والقدر؟

٢٩. أذكر الفِرَق التي ضلت في باب القدر؟

٣٠. ما الفرق بين القدرية والجبرية؟

٣١. ما حكم عصاة المؤمنين في الآخرة؟

٣٢. كيف ترد على الخوارج والمعتزلة في حكمهم على العصاة؟

٣٣. ما هي شروط الشفاعة؟

٣٤. ما هي الشفاعات الخاصة بالنبي ﷺ؟

٣٥. كيف كانت مناظرة حبر الأمة للخوارج؟

٣٦. ما سبب تسمية المرجئة بهذا الاسم؟

٣٧. أذكر أنواع الإرجاء؟

٣٨. ما الفرق بين المرجئة والخوارج؟

٣٩. الإيمان عند أهل السنة يشتمل على أربعة أمور ما هي؟

٤٠. أذكر صفات أهل الحديث التي ذكرها شيخ الإسلام؟

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
نظم الحائية	٦
ترجمة الناظم	٨
نبذة عن المنظومة	١١
المراد بحبل الله في قول الناظم	١٤
أنواع الهداية	١٧
حقيقة البدعة	٢٠
قواعد في البدع	٢٢
خطأ تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة	٢٣
أقسام البدعة باعتبار حكمها	٢٤
بدعة القول بخلق القرآن	٢٦
المصدر الذي استقى منه الجهمية قولهم بخلق القرآن	٢٧
لماذا اعتبرت الواقفة أخبث من الجهمية؟	٢٩
المنافقون أشد خطرًا من اليهود	٣٠
مسألة رؤية الله يوم القيامة وأقوال الطوائف فيها	٣٢
أقسام صفات الله تعالى	٣٨

الموضوع **الصفحة**

هل يقال: إن الله تعالى يداً أخرى وهي الشمال؟ ٣٩
مسألة نزول الله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا ٣٩
بيان فضل الصحابة رضي الله عنهم..... ٤٣
مسألة التفضيل بين عثمان وعلي رضي الله عنهما..... ٤٤
أقوال الرافضة عن القرآن..... ٤٦
شركيات الرافضة..... ٤٧
ذم الرافضة للصحابة..... ٤٩
العشرة المبشرون بالجنة من الصحابة..... ٥٣
هل يُشْهَد لأحد بالجنة غير العشرة المبشرين؟ ٥٤
مسائل متعلقة بالقدر..... ٥٦
هل القدر هو القضاء أم بينهما فرق؟..... ٥٦
مراتب القدر..... ٥٧
هل الأخذ بالأسباب ينافي الإيمان بالقدر؟..... ٥٨
إشكالات وشُبَه حول القدر..... ٥٩
حِكَم الله في خلق إبليس..... ٦١
الحكمة من إنظار الله لإبليس..... ٦٢
هل يجب الرضا بكل ما قدره الله؟..... ٦٣

الموضوع **الصفحة**

هل الإنسان مسير أم مخير؟ ٦٣
أخطاء في باب القدر ٦٤
الطوائف التي ضلت في باب القدر ٦٧
الفرق بين مذهب القدرية والجبرية ٦٨
الطوائف التي ضلت في الحكم على عصاة المؤمنين ٦٩
مفهوم الشفاعة وأدلتها ٧١
الفرق بين ذكر الشفاعة في القرآن وذكرها في السنة ٧٣
أنواع شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ٧٥
الشفعاء غير النبي محمد صلى الله عليه وسلم ٨٣
هل زيارة قبر النبي ﷺ من أسباب حصول الشفاعة؟ ٨٤
شروط الشفاعة ٨٤
مذهب الخوارج والمعتزلة في الشفاعة ٨٤
حجة المعتزلة والخوارج في إنكار الشفاعة لأهل الكبائر ٨٥
عذاب القبر ونعيمه يلحق من قُبِر ومن لم يُقْبَر ٨٦
حكم أهل السنة في مصير مرتكب الكبيرة ٨٧
قواعد في وسطية أهل السنة ٨٩
ذم مذهب المرجئة في الإيمان ٩٥

الموضوع **الصفحة**

موقف أهل السنة من المرجئة..... ٩٦
أدلة أهل السنة على دخول العمل في مسمى الإيمان ٩٧
النصوص التي يستدل بها المرجئة على مذهبهم الباطل ١١٠
أيهم أخطر الخوارج أم المرجئة؟..... ١١٣
حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة..... ١١٤
التقليد وأنواعه..... ١١٧
إطلاق لفظ أهل الحديث عند أهل السنة..... ١٢٢
مناقشة على الشرح..... ١٢٥
فهرس الموضوعات..... ١٢٨